

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية.

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة 08 ماي 1945_ قالمة_



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم: التاريخ

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تاريخ وحضارة المشرق الإسلامي

صورة الصين والهند والسند في المدونات الجغرافية الإسلامية (3هـ - 9 هـ / 9م - 15م)

إعدادالطالبتين:

- عواودة مروة
- بن حمدي سلمى

إشراف:

د. عطابي سناء

لجنة المناقشة:

الأستاذ	الرتبة	الصفة	الجامعة
د/ فؤاد طوهارة	أستاذ محاضر أ	رئيسا	جامعة8 ماي1945 قالمة
د/ سناء عطابي	أستاذ محاضر أ	مشرفا ومقررا	جامعة8 ماي1945 قالمة
أ.د/ مسعود خالدي	أستاذ التعليم العالي	مناقشا	جامعة8 ماي1945 قالمة

السنةالجامعية: 2019_2020

قال تعالى: { أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ}

سورة الحج: الآية46

إهداء

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين والحمد لله ربّ العالمين

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمنا إنك أنت العزيز العليم.

إلى من قال فيهما الرحمن أروع الآيات:

قال تعال: { وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا }. سورة الإسراء: الآية23-24

إلى من كانوا الأمل والقدرة أخي وأخواتي

إلى صديقاتي ورفيقات دربي

إلى كل زملائي في الدفعة وكل من ساعدنا في هذا العمل

سلمى

إلى من علمني أن الحياة مثابرة وكفاح إلى:

العائلة الكريمة أمي وإخوتي وزوجاتهم

صديقاتي ورفيقاتي

نهدي الجميع ثمرة جهدنا

مروة

الشكر والتقدير

الشكر لله القدير الذي أنعم علينا بنعمة العقل والدين القائل في محكم التنزيل " وفوق كل ذي علم عليم". سورة يوسف: الآية 76

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين كما نتقدم بالشكر والامتنان والتقدير إلى الأستاذة الدكتورة عطابي سناء لما منحته لنا من وقت وجهد وتوجيه وإرشاد، فنسأل المولى تبارك وتعالى أن يبارك لها في وقتها وأن يطيل لها في عمرها.

كما نتقدم بجزيل الشكر إلى أساتذة قسم التاريخ عامة وأساتذة تخصص حضارة وتاريخ المشرق الإسلامي خاصة.

والشكر الجزيل إلى كل من دع لنا دعوة صالحة من قريب أو بعيد.

قائمة المختصرات:

الرمز	الكلمة
ج	جزء
ص	صفحة
د. س	دون سنة
د. م	دون مكان
د. ن	دون نشر
تر	ترجمة
تح	تحقيق
تق	تقديم
مج	مجلد

المقدمة

المقدمة

اهتم الإنسان منذ القدم بالرحلة والجغرافيا، لارتباطها المباشر بنشاطه اليومي، فباعتباره كائن فضولي يسعى دائما للاكتشاف والاستطلاع وفهم الآخر، والرغبة في التعرف على العالم قد دفعته منذ أقدم الأزمنة إلى الرحلة والتنقل، فاندفع من إقليمه إلى الأقاليم الأخرى متأملا لكشف آفاقها والتطلع على عادات وطباع سواه.

وقد ارتبطت الرحلة والجغرافيا بالدرجة الأولى بالنشاط الاقتصادي الحيوي للإنسان وهو التجارة حيث اتسمت المعارف الجغرافية بصيغة تجريبية تميزت بالبساطة لاعتمادها على المعلومات الموروثة والاهتداء بالنجوم، ومع ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربية حمل المسلمون مهمة تطوير ما أخذوه من علوم الأمم الأخرى، كالفرس والإغريق والصينيين والهنود وغيرهم.

كما وحظي علم الجغرافيا بنصيب كبير من اهتمامهم وإضافاتهم خاصة بعد أن أصبحوا منذ نهاية القرن الأول الهجري /السابع الميلادي أسيادا على جزء كبير من العالم القديم، فأصبح من الضروري التعرف على جغرافية المناطق المفتوحة وما جاورها من أمم وقبائل، حيث ظهر ما يعرف بالجغرافيا الوصفية التاريخية التي اهتمت برصد أحوال المجتمعات وأسلوب عيشها وجملة عاداتها وتقاليدها وفنونها وعمرانها ومعتقداتها، والتي احتوت على مصنفات هامة في محيط الجغرافيا الإقليمية وأصبحت تشكل إرثا عالميا حضاريا حقيقيا، وبالنظر لتنوع مادتها من ناحية الموضوع والزمان والمكان، فنجد مثلا بعض الرحالة من أسهب في وصف العادات والتقاليد لأفراد المجتمعات في المناطق التي زاروها وأقاموا بها، ومنهم من أسهب في وصف الأقاليم واقتصاد سكانها ومنهم من جمع بين الاثنين.

فعلى هذا الأساس وقع اختيارنا على موضوع **صورة الصين والهند والسند في المدونات الجغرافية الإسلامية خلال القرن الثالث الهجري إلى التاسع الهجري** نظرا للأهمية التي ارتأيناها

فيه، فالرحالة والجغرافيون حاولوا تسليط الضوء على هذه الشعوب من خلال ملاحظاتهم ومشاهداتهم ومما نقلوه على لسان أهل تلك النواحي، وسعيهم للبحث عن ذلك التوازن بين ما هو موجود بلدهم وما وجدوه في هذه البلاد، لينتقلوا منه للحكم وإبداء رأيهم حول هذه المجتمعات سواء كانت نظرتهم في ذلك إيجابية أم سلبية أو تكوين صورة مختلفة توضح نظرتهم لهذه الشعوب، مما حفزنا إلى المضي في ذلك بالشروع في جمع ما استطعنا من كتابات حوله لنشكل منها هذا البحث الذي هو بين أيديكم.

ومن خلال عرضنا للموضوع من حيث التعريف به وأهميته يتبادر إلى الذهن مجموعة من المعطيات والمعايير التاريخية والمعرفية تشكل تصورا عاما للبحث فالملفت للانتباه أن البلدان الواقعة إلى الشرق من العالم الإسلامي قد حظيت باهتمام كبير من قبل الرحالة والجغرافيون المسلمون، حيث بإمكاننا القول بأنه انصب عليها بشكل ملحوظ، وهو ما دفعنا لصياغة تساؤلات يرتكز حولها البحث للإجابة عليها وهي:

التعرف على ماهية الرحلة وكيف نشأت؟ وهل كانت لها تأثيرات على العالم؟ وإلى أي مدى ساهمت الرحلة في تطور الفكر الجغرافي؟ ومنهم أشهر الرحالة والجغرافيون الذين برزوا خلال الفترة الوسيطة ؟

وهل اتسمت المعارف الجغرافية البشرية والاقتصادية التي جمعها الرحالة والجغرافيون حول أقاليم الشرق الأقصى، لاسيما بلاد الصين والهند والسند وذلك منذ بداية القرن الثالث الهجري وهي الفترة التي شهدت ظهور وازدهار أبرز مؤلفات الرحلة والجغرافيا الوصفية عند المسلمين بالوضوح والدقة والشمول؟

ومحاولة استبيان ما إذا كانت هذه المعارف صحيحة ودقيقة، بحيث تعكس جزءا كبيرا من الجغرافيا التاريخية لبلاد الصين والهند والسند؟

وفيما تمثلت أهم المعطيات الوصفية في بلاد الصين والهند والسند التي عكستها مدونات الرحالة والجغرافيون المسلمون؟

وكيف كانت نظرتهم للمجتمعات الأجنبية، خاصة وأن التباين الثقافي بينها كان واضحا ؟

وأما بالنسبة لمنهجية البحث، يمكننا القول بأن البحث العلمي يعتمد على أكثر من منهج وبعبارة أخرى يعتمد الباحث في التاريخ على منهج عام مركب يمكنه من تحقيق الغرض من البحث والوصول إلى نتائج يتوخاها الباحث في إشكاليته، ويعتمد في الأساس على تشخيص الأحداث ووصفها اعتمادا على النصوص التاريخية الأصلية من المصادر العامة والمتخصصة وهو منهج وصفي، بالإضافة منهج تحليلي مقارن الذي يعتمد على فهم النصوص وتحليل مضامينها لاستخلاص النتائج واستنباط المعطيات، كما اعتمدنا على منهج إحصائي وذلك من خلال إحصائنا لكم المعلومات التي زودنا بها الرحالة والجغرافيون حول بلاد الصين والهند والسند وأدرجناه في الملحق.

وتتمثل حدود بحثنا الذي هو تحت عنوان " **صورة الصين والهند والسند في المدونات الجغرافية الإسلامية "في الفترة الممتدة ما بين القرن الثالث الهجري التاسع الهجري إلى غاية القرن التاسع الميلادي الخامس عشر ميلادي،** والذي حاولنا من خلاله إبراز وتوضيح أهم المعطيات التي دونها هؤلاء الرحالة والجغرافيون بخصوص منطقة الشرق الأقصى.

وبالنسبة للدراسات السابقة في هذا الموضوع، نستطيع القول بأن ما كتب من دراسات حوله من طرف المتأخرين من المؤرخين والباحثين سواء كانوا عربا أو مسلمين أو غربيين ومستشرقين إنما

مرجعه الأصلي هو ما كتبه الرحالة العرب والمسلمين الذين عاصروا تلك الحقبة التي بلغت فيها الجغرافيا مرحلة متقدمة من النضج، ومن هذه المراجع نجد: شمس الدين الكيلاني، **صورة شعوب الشرق الأقصى في الثقافة العربية الوسيطة**، وزارة الثقافة، دمشق، 2008.

أما عن هيكلة الموضوع، فقد قسم إلى ثلاثة فصول أساسية، أتبعنا كل فصل بخلاصة تحتوي على أهم النتائج المستخلصة من الدراسة، وهي كالآتي:

استعرضنا في الفصل الأول وعنوانه " الرحلة بين النشأة والتأصيل " مفهوم الرحلة من الناحية اللغوية والاصطلاحية، وكذلك معناها في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وكيف ساهمت الرحلة في تطوير فكر الجغرافيين الذين اشتهروا برحلاتهم حول العالم ومدوناتهم الجغرافية المختلفة، وتطرقنا إلى المصادر التي اعتمد عليها هؤلاء الرحالة والجغرافيون في كتابة معطياتهم.

أما الفصل الثاني فقد خصص لدراسة بلاد الصين على ضوء ما ورد من وصف لدى الرحالة والجغرافيين المسلمين، حيث قمنا برصد موقعها الجغرافي وحدودها الطبيعية والامتداد الجغرافي ومدنها وتجارتها وجزائرها المختلفة، كما أوضحنا الأوضاع السياسية القائمة فيها، والحياة الاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية واستعرضنا لكل عنصر من عناصر هذا الفصل بخصائصه ومضمونه.

وأما الفصل الثالث من الدراسة فقد خصصناه لدراسة بلاد الهند والسند في كتابات الرحالة والجغرافيين، حيث رصدنا مميزات بلاد الهند والسند خلال هذه الفترة المدروسة، أي من القرن الثالث الهجري إلى التاسع الهجري، ولقد قسمناه لخمس مباحث أساسية: فكان المبحث الأول يدرس الوصف الجغرافي لبلاد الهند والسند متضمنا حدودها الطبيعية ومدنها وبحرها وجزائرها، والمبحث الثاني خصصنا لدراسة الحياة السياسية وما تحتويه من نظام سياسي، وحكام وما إلى

ذلك، كما تعرضنا في المبحث الثالث لمختلف الأنشطة الاقتصادية، وخصص المبحث الرابع لدراسة الحياة الاجتماعية والدينية، كما سلطنا الضوء في المبحث الخامس على الحياة الثقافية والعمرانية لبلاد الهند والسند.

وختمنا الدراسة بخاتمة تضمنت مجموعة من الاستنتاجات وحوصلة شاملة لنتائج البحث وقد ضبطت حسب كل فصل.

وقد اعتمدنا في دراستنا هذه على مجموعة من المصادر المهمة التي ساهمت في الكشف عن جوانب الدراسة، وساهمت في إثراء مواضيعها، والتي كانت في مجملها مدونات الرحالة المسلمين سواء تجار أو جغرافيين، نذكر أبرزهم سليمان التاجر، الذي لا يعرف عنه أكثر من أن كتابته ترجع إلى حوالي عام 237هـ – 851م، وأنه سافر مرارا لغرض المتاجرة مع الهند والصين، وقد كانت نصوص سليمان التاجر تحتوي على مادة دقيقة وهامة حول الأوضاع العامة للهند والصين في بداية القرن الثالث الهجري.

ومن المصادر أيضا التي ساهمت في قسط كبير من المعارف حول الموضوع، كتاب " المسالك والممالك " للجغرافي ابن خرداذبة، والذي تكمن أهميته في عرضه للمسالك التي كانت تربط البلاد الإسلامية بالحدود الشمالية الغربية للصين، وأفادتنا في معرفة المدن الهندية وأبرز المدن الصينية، وقد أخذ عنه جغرافيون بارزون أمثال اليعقوبي وابن رسته وابن حوقل والإدريسي.

كما أفادنا كتاب الجغرافي الفارسي ابن رسته المعروف " بالأعلاق النفسية " وهو موسوعة كبيرة لم يصل منها إلا الجزء السابع وهو في علم الفلك والجغرافيا، وقد عرض معارف هامة حول بلاد الهند وموقعها وامتدادها الجغرافي وأحوال مجتمعها، فضلا عن معتقداتها وممالكها.

واعتمدنا أيضا على الجغرافي الإدريسي الذي جمع معلوماته من التجار الثقات كما وصفهم ومؤلفات سابقيه كابن خرداذبة واليعقوبي والمسعودي.

كما يعتبر البيروني من أهم الرحالة والجغرافيين المسلمين المتخصصين في الهند بالإضافة لكتاب المروزي المعروف " بأبواب في الصين والهند والترك " وهو منتخب من كتاب " طبائع الحيوان " الذي يعالج الأجناس البشرية والجغرافيا.

كما اعتمدنا على مجموعة من المراجع أهمها:

1- صلاح الدين الشامي، الرحلة عين الجغرافيا المبصرة .
2-عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها .
3-هيلدا هو خام، تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين.
4-بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين الشرق والغرب.
5-محمد عبد العظيم أبو النصر الصوفي، تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب.
6-أحمد محمود الساداتي، تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم.

وأما الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجازنا لهذا البحث والتي يواجهها أغلب الباحثين في المجال العلمي، غير أن تنوع المادة الوصفية جعل البحث يتفرع في أكثر من اتجاه، حيث لمس الجغرافيا، والسياسة والأوضاع الاقتصادية من حرف وتجارة وصناعة، والمظاهر الاجتماعية، والمعتقدات الدينية، فحاولنا قدر الإمكان تسليط الضوء على أهم عناصره، بالإضافة إلى ذلك الوضع الذي ساد البلاد خلال هذه الفترة، والذي كان سببا في صعوبة التواصل والتنسيق فيما بيننا لإنجاز العمل.

وفي الأخير لا يمكن القول أن هذه الدراسة قد غطت الموضوع من كل جوانبه وذلك لثراء مادة هذا التراث حول الأجناس الأجنبية، لا سيما آسيا الوسطى والشرقية، وذلك أمام قلة الدراسات الأكاديمية العربية المتخصصة، التي تحقق في ما جاء به الرحالة من معارف، حول شعوب وحضارات مناطق آسيا الشرقية.

الفصل الأول:

الرحلة بين النشأة والتأصيل

ساهمت الرحلة والجغرافيا في توضيح معالم وحدود العالم، حيث كانت سببا في اكتشاف مناطق مجهولة يكتنفها الغموض، فأخذ الرحالة والجغرافيون على عاتقهم إزالة اللثام عن هذه المناطق، وتوسيع حدود فكرهم حول اتساع العالم وضخامته، وهذا ما يدفعنا للتساؤل: ما مفهوم الرحلة؟ وفيما تتمثل الأسباب والدوافع التي أدت بالرحالة والجغرافيون على التوجه نحو اكتشاف الآخر، وكيف ساهموا من خلال معلوماتهم في ازدهار المعارف الجغرافية، وهذا ما سنجيب عليه في هذا الفصل.

المبحث الأول: مفهوم الرحلة ونشأتها.

1 –مفهوم الرحلة:

أ– لغة: يحدد **ابن منظور**[1]مفهوم الرّحلة بأنّها: رحل والرَّحلُ: مركب للبعير والنّاقة، وجمعه أَرْحلُ ورحالٌ والرَّحلُ: منزل الرّجل ومسكنه وبيته، وارتحل البعير رحلة، سار فمضى، ثم جرى ذلك المنطق حتى قيل: ارتحل القوم عن المكان ارْتِحالاً، ورحل عن المكان يرحل، وهو راحل، من قوم رحّل: انتقل.

وقد جاءت الرِّحلة في **القاموس المحيط**[2] بمعنى: الرَّحْلِ للإبل والرَّحَّالُ: العالم به المُجيد والمُرحَّلة: إبل عليها رحالها، والرَّحول والرَّحولة والرَّاحلة: الصالحة لأن تُرْحَلَ، والإرتحال: الوجه الذي تقصده، والسَّفْرة الواحدة.

وذكرت في **المصباح المنير**[3] لفظة، رحَلَ: عن البلد رحيلا فيقال رحَّلْته وترحّلْتُ عن القوم وارتحلْتُ والرَّحْلُ: كل شيء يعد للرّحيل من وعاء للمتاع ومركب للبعير وحِلس ورسنٍ وجمعه أَرْحلٌ ورِحال، والمحلة: المسافة التي يقطعها المسافر في نحو يوم والجمع المراحل.

---

[1] - **لسان العرب**، دار صادر، بيروت ، د.س، مج[11]، ص274-278.

[2]- الفيروز أبادي، **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت ، 1426 هـ-2005 م ص1005 .

[3]- الفيومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، تح: عبد العظيم الشناوي، ط2، دار المعارف، القاهرة، د.س، ج[1]، ص 222،223 .

وقد ذكر اللّفظ في **محيط المحيط**[1] رحَل عن البلد: يرحل رحْلا ورحيلاً وترحالاً، شخص وسار، ورحل إلى المكان انتقل، ورحَلهُ بسيفه رحْلا علاهُ، ورحَلَت له نفسي أي صبرت على أذاه، رحَّلهُ: أشخصه وأزعجه وأظغنه من مكان وأجدّه في الرّحيل، والرِّحلةُ بالكسر الارتحال، وبالضم الوجه الذي يقصده الرَّاحل، يقال غدا رحلتنا أي ارتحالنا، ومكّة رُحلتنا أي الجهة التي نقصدها ونريد أن نرحل إليها.

الرَّحل: منزل الرجل ومسكنه وبيته، ارتحلهُ: جعل عليه الرَّحل، رحلت البعير أرحلهُ: علوته، رحل الرجل: سار، الراحلة من الإبل: البعير القوي على الأسفار والأحمال، الراحلة عن العرب: كل بعير نجيب سواء كان ذكرا أو أنثى، رحل عن المكان انتقل، والرَّحيل: اسم ارتحال القوم للمسير وقيل القوي على الارتحال والسير، المُرتحل: نقيض المحل، الرّحال: الدور والسكن والمنازل، رجل رحّال: عالم بذلك مجيد له، الرّحلة: القوة والجودة، راحلتُ فلانا: عاونته على رحلته، أرحلته: أعطيته راحلة، الرُّحلة: السفرة الواحدة، المُرتحل: اسم الموضع الذي يحل فيه، الترحل: ارتحال في مُهلة[2].

ويوم الرحيل في السفر مهم جدا وأهمّه في يوم الرحيل الأول، وإن كانوا يطلقون الرحيل عند مغادرة كل مرحلة من مراحل السفر، ولذلك قالوا في المثل: ما حلى الخفّ يوم الرحيل، والخفّ: قلّة المتاع الذي يحمل على البعير أو ينزل منه.

يقال هذا المثل في الزّهد، وفي النّصيحة بعدم حمل الأشياء الثّقيلة في السّفر[3].

أما في **معجم الوجيز**[4] فقد ذكرت لفظة: رحل عن المكان رحلاً، ورحيلاً، وتَرْحالا، ورِحْلة: سار ومضى، والبعير رَحْلا، ورِحلة: جعل عليه الرَّحْل، فهو مرْحول ورحيل، أَرْحل فلان: كثرت رواحله،

---

[1]-.بطرس البستاني، **محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية**، مكتبة لبنان، لبنان، 1987م، ص 327 ،328.

[2]- صالح العلي الصالح وأمينة الشيخ سليمان أحمد، **المعجم الصافي في اللغة العربية**، د. ن، د. م، 1441 هـ - 1981 م، ص 197 .

[3]-.محمد بن ناصر العبودي، **معجم السفر والارتحال عند العامة**، ط$_1$ ، دار الثلوثية، السعودية، 1433 هـ - 2012 م، ص168 .

[4] -.مجمع اللغة العربية ، **المعجم الوجيز** ، دار التحرير ، د. م ، 1989 م،ص259،258.

فهو مرحلٌ، والرّحّالة: السّرج وجمعها رحائل، والرُّحّال: العرب الذين لا يستقرون في مكان ويحلّون بماشيتهم حيث يسقط الغيث وينبت المرعى.

وجاءت في **معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية**[1] لفظة: الرَّحْل: مركَبَ للبعير، والرّحْلُ: البيت والمنزل، والرّاحلة: الرّاحلة نفسها والمرحولة.

واللافت للنظر أن دلالة كلمة (رحل) تكاد تكون متشابهة في المعاجم العربية، ومن هنا نخلص إلى أن دلالة هذه الكلمة في لغة العرب تكمن في السير والارتحال والحركة.

ب – اصطلاحا:

تعددت وتنوعت مفاهيم الرّحلة في الاصطلاح، إلاّ أنّها تحمل في طيّاتها معنى موحّدا، فالرحلة في مفهومها العام حسب ما عرّفها **صلاح الدين الشامي**[2] في قوله: أن الرّحلة تظل إنجازا أو فعلا أو مباشرة لما يعنيه أو يقتضيه أمر اختراق حاجز المسافة، أو اسقاط الفاصل الحاجز بين المكان الذي تبدأ منه، والمكان الذي تنتهي إليه.

والرحلة في المفهوم السائد هي انتقال ضمن الفضاء الجغرافي والزمن التاريخي، وهي انتقال أيضا ضمن نظام اجتماعي وثقافي، يسعى من خلاله الرحّالة إلى البحث عن فكر الحضارة الذي يجب أن يدرسه ويحلّله، ويحكم عليه[3].

والرّحلة كفعل يقوم به شخص ما له ذات تاريخية محملة بأحاسيس وانفعالات ورؤيا معينة مثل: **سليمان التاجر** أو **اليعقوبي** أو **البيروني** أو **المسعودي** ....، ويتمثل هذا الفعل في انتقال هذا الشخص نفسه، وذلك بالانتقال من مكان إلى آخر وهذا الانتقال يختلف من حيث الطبيعة والقصد[4].

---

[1] - عبد الحليم محمد قنبس، **معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية**، مكتبة لبنان، لبنان، 1987 م، ص 55 .

[2]- **الرحلة عين الجغرافية المبصرة**، ط$_2$ ، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م، ص 11.

[3]- دانييل هنري باجو، **الأدب العام المقارن** ، تر: غسان السيد ، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.س، ص49،50.

[4]- سعيد يقطين ، **السرد العربي مفاهيم وتجليات**، ط$_1$ ، دار الأمان، الرباط، 1433هـ - 1012 م، ص171-175 .

معنى الرّحلة هو الانتقال من مكان إلى آخر لتحقيق هدف معين، ماديا كان ذلك الهدف أو معنويا، فلقد كان أهل مكّة يألفون الرّحلة والأسفار بفرض التجارة، وقد زادت رغبتهم في التنقل والارتحال بعد انتشار الإسلام لأغراض شتى[1].

فالرّحلة والرّحّالة سفينة تقطع الفيافي والبحار وتتسنم قمم الجبال لتجمع كل ما هو مرتحض وغال وطريف، فضلا عن أن النفوس لا يصلحها إلا التنقل من حال إلى حال، والارتحال للاطلاع على الغرائب واستطلاع العجائب[2].

وجاءت عند **أبي حامد الغزالي**[3] في معنى: السفر وسيلة إلى الخلاص عن مهروب عنه، أو الوصول إلى مطلوب ومرغوب فيه، والسفر نوع حركة ومخالطة، وفيه فوائد وله آفات.

والرّحلة في أبسط مفهوم لها هي ذلك الانتقال الذي يقوم به الرحالة من مكان لأخر على سبيل الهواية أو الاحتراف، فالرّحلة جزء أصيل من حركة الحياة على الأرض، وقد لا تتجاوز الرّحلة مسافة قصيرة في بعض الأحيان وقد تمتد وتطول حتى تغطي أطول المسافات بين المكان والأخر في أحيان أخرى[4].

ومن خلال هذه التعاريف التي توضح مفهوم الرحلة نستنتج أن الرحلة هي عملية ترحال وتنقل، يقوم بها الإنسان من مكان لآخر لتحقيق هدف معين.

ج – الرحلة في القرآن الكريم :

لم يدع الإسلام وسيلة من الوسائل التي تفيد الإنسان إلا وحثه على فعلها، ومن الرّحلة، سواء أكانت للعلم أو للهجرة بالدين من أرض الشّرْك إلى أرض الإسلام أو الحج أو التجارة، فقد حفل

---

[1]- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، **الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها**، ط$_1$، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1416هـ - 1996م ، ص15.

[2] - أحمد رمضان أحمد، **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان العربي، د. م ، د. س ، ص5.

[3]- **إحياء علوم الدين**، ط$_1$، دار ابن حزم، بيروت ، 1426هـ - 2005م ، ص 712- 718.

[4]- صلاح الدين الشامي ، مرجع سابق ، ص 7.

القرآن الكريم بالأمثلة العديدة لكل نوع منها على الرغم من عدم ورود لفظ رحلة فيه إلا مرة واحدة في سورة قريش[1].

قال تعالى: { لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ (2) فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ (4) } سورة قريش[2].

ولقد سخّر الله سبحانه وتعالى الأرض للنّاس جميعا ليجوبوا أرجاءها وأنحاءها وذلك في قوله جلّ وعلا: { هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ ۖ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ (15)} سورة الملك[3].

تكررت دعوة الله عز وجل لعباده بالمشي في مناكب الارض، والسير فيها ليروا عجيب صنعه، وباهر قدرته من الآيات البيّنات، وما أودعه فيها من معادن ونبات وحيوان وأجواء، وهذا فضلا عن النظر إلى آثار الأمم السابقة لكي يستطيعوا الوقوف من خلال ذلك على القوانين التي يجريها الله في هذا الكون[4].

ويظهر ذلك جليا وتتضح معالم تلك الدعوة في عديد من الآيات القرآنية في قوله تعالى:{قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ(137) } سورة آل عمران[5].

قال تعالى:{ وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ(27)}[6].

قال تعالى: { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ}[1].

---

[1]- عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ - 1996م، ص29 .

[2]- سورة قريش ، الآية : 1-4 .

[3]- سورة الملك ، الآية : 15 .

[4]- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي ، مرجع سابق ، ص16.

[5]- سورة آل عمران ، الآية 137.

[6]- سورة الحج، الآية : 27.

وقال تعالى: {...أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ...}[2].

كما دع القرآن الكريم النّفس البشرية في مواطن مختلفة، وذلك لحملها على اقتحام القفار والبحار والتوغل في الصحراء والارتحال، والاستطلاع للعجائب، وكشف الجديد[3].

حيث جاء في قوله تعالى: { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ(42) } سورة الروم[4].

د_ الرحلة في السنة النبوية الشريفة:

لم تغفل السنة النبوية الحث على التنقل والترحال للاطلاع على الغرائب والعجائب، حيث ذكر رسول الله صلّ الله عليه وسلم خطبة قس بن ساعدة بعكاظ وفيها قوله: إنّ في السماء لخبرا وإن في الأرض لعبرا[5].

عن دراج عن ابن حجيرة عن أبي هريرة: أنّ النبيّ صل الله عليه وسلم قال: "سافروا تصحوا، واغزوا تستغنوا"[6].

2 – نشأة الرحلة :

منذ أن وجد الإنسان على الأرض إلى اليوم لم يتوقف يوما عن الحركة والتنقل من مكان لآخر، وذلك للبحث عن مصدر عيش ولحياة أفضل، فقد أخذ يتوسع برحلاته على مدى الدهور، ولم يعد يقصرها على سطح الكرة الأرضية، فراح يتشوف رحلات أعجزته قدرته عن تحقيقها

---

[1]- سورة الأنعام ، الآية : 11.

[2]- سورة يوسف ، الآية 109.

[3]- نوال عبد الرحمان الشوابكة ، **أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري** ، ط$_1$، دار المأمون، عمان، 1428هـ - 2008م، ص20.

[4]- سورة الروم ، الآية : 42.

[5]- أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص6.

[6]- الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ط$_1$، مكتبة المعارف، الرياض،1422 هـ -2002م، ص1060.

بالفعل، وهكذا فإن حياة الإنسان رحلة دائمة لا تتوقف إلا على تخوم الأبدية، باعتبار أن الرحلة أمر طبيعي يتعلق بحياة الأفراد والأمم[1].

أشار القرآن الكريم إلى أول رحلة قام بها الإنسان بقوله تعالى: { وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجنّة وَكُلاَ مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ * فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُواْ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ، فَتَلَقَّى ءَادَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ }[2]، وهذه الرحلة هي رحلة آدم وحواء، التي كانت بأمر من الله بسبب خطيئتهما ونسيان العهد والانصياع لوسوسة الشيطان، ولقد اقتضت رحمة الله بهذا المخلوق أن يهبط إلى مقر خلافته مزودا بهذه التجربة التي يستعرض لمثلها طويلا استعدادا للمعركة الدائبة وموعظة وتحذيرا[3].

بدأت الرحلات على نسق ضيق، ثم اتسعت مع مرور الزمن، فالإنسان ولد راحلا، وإن أعجزته الرحلة، تخيل رحلات غير محسوسة في عالم الخيال، ونجد ذلك مثبوتًا في الأساطير الأولى، كما نجده مماثلا في الحروب والفتوح القديمة، وما سطره الملوك الأولون في مصر وغير مصر[4]، ولقد ساعدت الرحلة الإنسان على اكتشاف موطنه الأصلي وهو كوكب الأرض كما أدت إلى إدراك مدى انتشاره في بقاعها، وأن البشر قد سلكوا مناقب مختلفة، وتعددت ألسنتهم إلى جانب تنوع طرائق حياتهم، وكان بين هؤلاء الرحالة رجال علم ودين، وكذلك طوافون من هواة السفر والترحال، وآخرون استهوتهم المغامرة، ودفعتهم المخاطرة إلى الكشف عن المجهول من الأرض والناس[5].

ومرت الرّحلة بمرحلة طويلة كان التطور فيها بطيئا ومتأنّيا، بقدر ما كان منطقيا ومفيدا، وكانت مسيرة هذا التطور البطيء تدب في رفقة الإنسان، وتلبي حاجته في الاتجاه الصحيح،

---

[1]- حسين محمود حسين ، **أدب الرحلة عند العرب**، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1403هـ -1983م، ص5.

[2]- سورة البقرة ، الآية : [35-36-37].

[3]- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط2، دار الشروق، بيروت، 1423هـ - 2003م، مج1 ، ج1 ، ص59.

[4]- شوقي ضيف، **الرحلات** ، ط4، دار المعارف ، القاهرة ، د.س، ص7.

[5]- حسين محمد فهيم، **أدب الرحلات** ، عالم المعرفة ، د. م، 1989م، ص11.

وصحيح أن ولادة الحياة البشرية على الأرض كانت نقطة بداية، لكي تبدأ وتتحرك هذه المسيرة الفكرية[1].

ويمكن القول أن كل رحلة حقّقت الهدف لحساب الإنسان ونبض الحياة مستمر على الأرض، وأن الإنسان كرّس اجتهاده لإنجاز الرّحلة لم يفرط أبدا في جني ثمراتها والانتفاع بها، وقد رسّخت كل العوامل والمفاهيم التي بنيت عليها مسألة وحدة البشر على الأرض[2]، ومع استمرار تنقل الإنسان من مكان لآخر برز معه اهتمام كبير بالرّحلات في مختلف الحضارات القديمة، منها الحضارة العراقية التي برز فيها الاهتمام بالمعرفة الجغرافية من خلال اهتمامهم بالتجارة والفتوح الخارجية والتي مكنتهم من التعرف على مناطق واسعة من الشرق، فقد عرفوا معظم أجزاء الجزيرة العربية وخاصة الأجزاء الشرقية من أمثال ابن بطوطة، الإدريسي[3].

وقد عُرف على العرب منذ القديم بحبّهم للرّحل والأسفار، فتواترت الأخبار عن رحل فردية وجماعية طلبا للرزق والتجارة، والاطلاع والمعرفة، فقام بعض الشعراء في الجاهلية بالرّحلة إلى الحيرة ودمشق وبلاد الروم، وذكروا ما جرى معهم في هذه الرِّحل، كما كان لقريش رحلتان إحداهما في الشّتاء والأخرى في الصّيف، وجاء ذكرهما في القرآن الكريم، حيث كانت هناك كتب عديدة تحدثت عن تاريخ العرب قبل الإسلام منها: كاتب الوعي بالتاريخ عرب الجزيرة قبل الإسلام وكتاب تاريخ العرب قيل الإسلام[4].

كما كانت للعرب رحلات تجارية مزدهرة خاصة مع العراق والشام واليمن، وإن لم تدون أخبار هذه الرحلات تدوينا خاصا شاملا لها أو جامعا، اللّهم إلا ما ورد متناثرا في قصائد الشعر وكتب اللغة[5].

1- صلاح الدين الشامي، **الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة** ، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999،ص47.

2- حسين محمد فهيم، مرجع سابق ، ص18 .

3- أزهر حسين رزوقي، **الرحلة في التراث العربي الإسلامي ودورها في رفد المعرفة الجغرافية** ، مجلة سر من رأى، العدد19، العراق، نيسان 2010 ، ص173.

4- علي إبراهيم الكردي، **أدب الرحل في المغرب والأندلس** ، الهيئة العامة السورية، دمشق، 2013م، ص9.

5- فؤاد قنديل ، مرجع سابق ، ص 25،26 .

وقد غلب على كتاباتهم الطابع القصصي، الذي يستندون به إلى الواقع أحيانا، ويجنحون به إلى الخيال أحيانا أخرى، ويحفلون فيه بالقصص للمتعة التّي تسمو به إلى مرتبة الأدب الفني الصرف في أغلب الأحيان[1]، إذ أصبحت الرحلات القليلة التي حفظت لنا أوصافا فيها عن هذا العهد فمشحونة بتفاصيل خرافية جعلت حوادث الرّحلة الواقعية نفسها هدفا للرّيبة حتى نسبت إلى القصص الشعبي، ودخلت ضمن ما يعرف بالجغرافيا الأسطورية[2]، حيث كان الرحّالة يقصّون مشاهداتهم على الناس عند عودتهم ويدوّنون بعضها في ملاحظات وصلت إلينا عن طريق المؤرخين الذين أوردوها في مصنفاتهم ولم تأخذ هذه الملاحظات شكل الرّحلة إلا في عصور لاحقة[3].

---

[1]- نبيل راغب ،**أدب الرحلات** ، مجلة الفيصل ، العدد 88 ، السعودية، 1404هـ - 1984م ، ص 71.

[2]- كراتشوفسكي ، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي** ، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مر: إيغور بليايف، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1963، ج1،ص53.

[3]- علي إبراهيم الكردي ،مرجع سابق، ص09.

المبحث الثاني: تطور الفكر الجغرافي.

ارتكز الفكر الجغرافي منذ أقدم العصور على جمع الحقائق من سطح الأرض بمظاهرها الطبيعية وقد كان التأمل في المعلومات التي جمعت يعد من أهم المحفزات التي ساهمت في بلورة نظرة جغرافية تأملية أدت في نهاية المطاف إلى رسم الخرائط والمصورات، ومنذ أقدم العصور والإنسان دائم البحث عن مزايا البيئة الجغرافية لتجنب أخطارها وجلب أكبر ما يمكن من منافعها، وبهذا يمكن القول أن بداية علم الجغرافية اقترن بوجود الإنسان ونشاطاته على أرض بسيطة[1].

1 – الفكر الجغرافي الكلاسيكي " القديم ":

تأثرت المعرفة الجغرافية في الحضارة المصرية التي قامت على ضفاف نهر النيل الذي كان السبب الرئيسي في حدوث هذا التأثر من خلال فيضاناته المتكررة، مما أوجب للمصريين بفكرة البحث إذ أنهم يرون فيضانه يتجدد كل صيف، وقد استمد المصريون أملهم في البحث من ملاحظة حركة الشمس الدورية وارتباط شروقها بيقظة الكائنات الحية بعد النوم، ويمكن حصر اهتمامات المصريين بالجغرافيا في قسمين رئيسيين، أولهما المعلومات الجغرافية المتصلة بالأرض المصرية ذاتها، وثانيهما علاقات مصر القديمة بالعالم الخارجي[2].

إذ كانت عمليات رسم الخرائط مثبتة على براعة في مسح الأرض مسحا تفصيليا عقب كل فيضان، حيث تعتبر بدايات متواضعة في خدمة المعرفة الجغرافية، وقد حقق الاجتهاد المصري القديم إنجازات مفيدة ورائدة في المجال الجغرافي وفي مجال الاكتشافات وركوب البحر، وساهم ذلك في تعزيز مسيرة الفكر الجغرافي القديم[3].

---

[1] - حسين عليوي ناصر الزيادي، **تطور الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة**، مجلة أوروك، جامعة المثنى، المجلد7، العدد1، د. م ، 2014، ص 3،4.

[2]- عيسى علي إبراهيم ،**الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية** ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006،ص14.

[3]- صلاح الدين الشامي ،**الفكر الجغرافي**، مرجع سابق ، ص 83،84.

وفي بلاد ما وراء النهرين أسهم البابليون في ميادين المعرفة الجغرافية وحاولوا تفسير بعض الظواهر الفلكية، فاستخدموا أنواعا من المزاول الشمسية[1]، وبنوا الأبراج لمتابعة الأجرام السماوية ورصدها، وتمكنوا من تسجيل ظاهرتي الخسوف والكسوف مع ملاحظة فترات كل منهما، كما وصفوا تقويما سنويا قمريا وجعلوا طول الشهر القمري تسعة وعشرون يوما وثلاثين يوما بالتتابع، وعلى هذا صار طول السنة 345 يوما، ولكي يتم التوافق بين السنة القمرية والشمسية أضاف البابليون شهرا آخر للسنة لتصير ثلاثة عشر شهرا عند الضرورة[2].

ولقد كان الإغريق هم الأوائل الذين حاولوا إغناء وبلورة المعارف الجغرافية فهم الذين أوجدوا كلمة جغرافيا من كلمة **جيو** = أرض، و**غرافت** = وصف، وعملوا على توسيع مجال أبحاثهم لأبعد مكان باستطاعتهم بلوغه[3]، ولم يكن اهتمامهم محصورا في النشاط الكشفي فقط، بل كانت البحوث الجغرافية النظرية مستحوذة على كثير من اهتماماتهم، ومثال ذلك البحوث المتعلقة بأصل الأرض وشكلها وحجمها ومركزها في الكون، وقد استخدم الإغريق في دراستهم أجهزة بدائية، ورغم عدم دقة هذه الأجهزة فقد استطاعوا أن يتوصلوا بمساعدتها إلى قياسات ونتائج على درجة لابأس بها من الدقة[4].

وخلف الرومان كلا من الإغريق والفينيقيين في حوض البحر المتوسط، حيث قامت الإمبراطورية الرومانية على الطرق التي ربطت روما بالشرق وبأروبا، واعتمد الرومان على أصول المعرفة اليونانية، وكانت لهم اهتماماتهم الخاصة اهتمامهم بالقياس والخرائط، وظهر فيهذا العصر

---

[1]- **المزاول الشمسية**: المزول (زول) الساعة الشمسية، وهي آلة يعرف بها وقت الظهر من الظل. جمعه مزاول/ جبران مسعود، **الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقا لحروفها الأولى**، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1992، ص735.

[2]- محمد محمود محمدين، **الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان** ، دار الخريجي، الرياض ، د.س ، ص 64.

[3]- رينييه كلوزيه ، **تطور الفكر الجغرافي** ، تر: عبد الرحمن حميدة ، دار الفكر، دمشق، 1405هـ ، 1985 م ، ص15 .

[4]- مجهول، **الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي**، تر: عبد العزيز طريح شرف ، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1993 م ، ص 10.

العديد من الشخصيات الجغرافية على غرار **بطليموس**[1]، الذي اعتبر حلقة وصل بين الجغرافيا القديمة والجغرافيا الحديثة[2].

2 – الفكر الجغرافي الوسيط :

لقد كان العرب قبل الإسلام يتمتعون بحسن جغرافي صادق شأنهم في ذلك شأن كل الشعوب التي تعيش بالفطرة، فكانوا على دراية تامة بمواقع الأشياء في بيئاتهم لا تنقطع بهم السبل إليها ليلا أو نهارا، بل إن حياتهم البسيطة فسحت لهم مجال الملاحظة للتحقق من مواضع الخطر والتماس أسباب الخير من عشب وماء وثمر، كما عُرف عن العرب قبل الإسلام من تصورات واضحة لبلادهم ففي شعرهم ونثرهم الشيء الكثير عن طبيعة بلادهم وصفاتها، وإشارات عديدة إلى الأماكن وما بها من نباتات وحيوانات وطرقها ومسالكها ومضارب القبائل ومنازل القمر وأسماء الكواكب والنجوم[3]، حيث أن الأحوال الجغرافية لجزيرة العرب كما صورها الشعر العربي القديم كانت موردا هاما في استقاء المعلومات، ذلك أن هذا الشعر غنيّ بأعلام جغرافية كان البدو يدركون حقيقتها، فقد وعوا هذا الشعر عن ظهر قلب، وكانوا يتبينون طريقهم على الفور في بلادهم الواسعة باستذكارهم إحدى القصائد التي ورد بها اسم الموضع الذي يجدون أنفسهم فيه[4].

وبعد مجيء الإسلام وتوسع الفتوحات الإسلامية، ولما أصبح الإهتمام بالرقعة المفتوحة جزءا هاما من العمل الإداري للدولة، صار وصف الأقاليم والعناية بها جزءا من أخبار الفتوح والمغازي والتنظيم[5]، حيث انتقلت هذه المعلومات الجغرافية المفصلة هي والرواية الشعرية القديمة إلى حضارة

1- **بطليموس** : كان واحدا من أكبر علماء الفلك والجغرافيا في العصور القديمة، وكان يعرف أيضا باسم كلوديس بطلوميس، ولد في مقدونيا شمال اليونان /مجموعة من العلماء والباحثين، **الموسوعة العربية العالمية** ، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض ، 1419 هـ - 1999م، مج4 ، ص 466،467.

2- عيسى على إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 40-42.

3- عبد الفتاح محمد وهيبة ، **مكانة الجغرافية من الثقافة الإسلامية** ، دار الأحد، بيروت ، 1979م ، ص8 .

4- جمال الفندي ، **الجغرافيا عند المسلمين**، ط1، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1982 م ، ص 13،14 .

5- نقولا زيادة ، **الجغرافية والرحلات عند العرب** ، الشركة العالمية ، بيروت ، 1987 م ، ص 11.

الإسلام الأكثر ثقافة، وكان لغويّوا القرن الثامن مثل: **الأصمعي**[1]، من المتقصّين لجغرافية بلاد العرب واستمرت هذه الصلة بين اللغة والجغرافيا قائمة خلال القرون المتعاقبة[2].

اهتم المسلمون بالجغرافيا الفلكية التي صارت أساسا للجغرافيا العربية، وهي فرع من الجغرافيا يقوم أغلبه على الأساليب الرياضية، وذلك لاتصال الجغرافيا الفلكية بمواقيت الصلاة والصيام والحج، وقد استقى المسلمون هذا النوع من الجغرافيا من المذهب الهندي في الجغرافيا الرياضية عن طريق بلاد فارس، وتمثل ذلك في كتاب **السند هند**، وكذلك من المذهب اليوناني عن طريق السريان، وتمثل ذلك في كتاب المجسطي لبطليموس، ومن الذين تأثروا بكتاب بطليموس ونهجوا النهج الفلكي في مؤلفاتهم الجغرافية **محمد بن موسى الخوارزمي**[3]، لكنه تفرد ببحوث مستقلة لم يقلد فيها أحدا[4].

وقد عُرف لدى المسلمين في القرون الوسطى الجغرافيا الوصفية التي حققت بصفة خاصة تقدما كبيرا، فظهرت أوصاف دقيقة لمناطق مختلفة في العالم، وقد أسهب الجغرافيون والرحالة المسلمون في هذا المجال بدراسات قيمة، ومن أمثال هؤلاء ابن فضلان، البيروني ... وغيرهم كثير[5]، فمن خلال أمثال هؤلاء الرحالة والجغرافيون وجد عدد كبير من المؤلفات الجغرافية الهامة مثل: معجم البلدان لياقوت الحموي، ومروج الذهب للمسعودي، ورحلة ابن جبير...، والكثير من المؤلفات الأخرى[6].

وفي أوربا فقد تعرض الفكر الجغرافي للضاغط الديني السلبي، وذلك من خلال سيطرة رجال الكنيسة على الفكر الإنساني كله، فواجه الفكر الجغرافي هذا الضغط الديني، وانشطر الفكر إلى

1- **الأصمعي** ، عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع أبو علي، لغوي ورواية وعلامة مصنف في علم النبات، يعتبر من أهم وأشهر اللغويين العرب، له مصنف بعنوان كتاب النبات والشجر / محمد فارس، **موسوعة علماء العرب والمسلمين**، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 1993 م، ص 84 .

2- جمال الفندي ، مرجع سابق ، ص 14.

3- **الخوارزمي** ، أبو عبد الله محمد بن موسى الخوارزمي، رياضي وفلكي وجغرافي، ومؤرخ إسلامي ولد في خيوي جنوب خوارزم، يعتبر أول عالم من طرازه في الرياضيات / محمد فارس ، مرجع سابق ، ص 128.

4- جمال الدين فاتح الكيلاني، **الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي**، دار الزنبقة، القاهرة، 2014م، ص15 .

5- مجهول، مرجع سابق ، ص 53.

6- عزالدين فراج، **فضل العلماء المسلمين على الحضارة الأوروبية** ، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002م، ص 104.

شطرين: شطر صحيح تخوف وانطوى وفر، وتخفى لأنه لم يمتثل للضاغط الديني، وشطر مزيف دجال امتثل وأسلم زمانه لإرادة الجهالة، وغباء رجال الكنيسة[1].

3 – الفكر الجغرافي الحديث :

جاء الفكر الجغرافي في إطار هذه المرحلة الثالثة متميزا بالفعل، وقد بني هذا الفكر على كل أسباب ونتائج المعرفة الحقة بالأرض والناس في أنحاء العالم، واعتمد اعتمادا كليا على التقدم والتطور المثمر البناء في الفكر البشري من ناحية، وعلى رسوخ بعض المفاهيم المنطقية المتخصصة على الأرض والناس من ناحية أخرى، ومن ثم خلقت الجغرافية خلقا جديدا واكتسبت وجها متميزا لكي تعبر عن الفكر الجغرافي الحديث[2].

ولقد كانت انطلاقة عصر النهضة الوثابة في أوروبا، بداية التحرر والتحول الحقيقي البناء، الذي أنهى منطق الفكر الجغرافي المسيحي الضال، بل أن هذه الانطلاقة المتحررة قد وضعت أول علامات بارزة، وهي تعيد الفكر الجغرافي الصحيح المتحرر إلى الطريق السوي، وتحرك مسيرته وتنشط خطواته في الاتجاه الصحيح إلى ما هو أفضل، وهذا ما نتج عنه وولد علم الجغرافية في نهاية المطاف[3]، ومع مرور الزمن اكتشفت عدة أماكن في العالم بعد أن قرر الأوربيون التوغل في عرض البحار لاكتشاف المحيطات والقارات، وتم اكتشاف قارة أمريكا من قبل **كريستوف كولومب**[4]، ودشن أيضا **فاسكو دوغاما**[5]، طريق الهند البحري، وأنجز كذلك **ماجلان**[6]، بين عامي 1519 –1522 أول رحلة حول العالم، وبعد أن كانت المحيطات خلال وقت طويل عبارة عن

---

[1]- صلاح الدين الشامي ،**الفكر الجغرافي**، مرجع سابق، ص184،183.

[2]- صلاح الدين الشامي ،**التنمية الجغرافية دعامة التخطيط**، ط$_2$، منشأة المعارف، الإسكندرية ، 2000م ،ص37 .

[3]- صلاح الدين الشامي ،**الفكر الجغرافي**، مرجع سابق، ص 320.

[4]- **كريستوف كولومب** : ولد سنة 1451م، في مدينة جنوا الإيطالية، عمل في صغره حائكا كأبيه، جاب في أنحاء البحر المتوسط مرات عديدة كتاجر/ محمد النيرب، **المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية** ، ط$_1$، دار الثقافة الجديدة، القاهرة، 1997 ، ج^1 ، ص20.

[5]- **فاسكو دوغاما** : " 1469-1524م" قائد بحري ومكتشف برتغالي، قاد أول أسطول من أوروبا للوصول إلى الهند، ولد بسينس بالرتغال / مجموعة من العلماء والباحثين ، مرجع سابق ، مج ^{10} ، ص 214 .

[6]- **ماجلان** ، قبطان برتغالي، قاد أول حملة (1480م -1521م)قام بالإبحار حول العالم، كانت رحلته أول برهان عملي على كروية الأرض / مجموعة من العلماء والباحثين ، مج^{22} ، مرجع سابق ، ص 38.

حاجز منيع إذ بها تصبح قاعدة عمليات[1]، كما أصبحت الدراسات الجغرافية أكثر دقة وذلك راجع إلى دراسة مدى التفاعل بين وجود أو توزيع ظاهرة معنية في مناطق بالذات وظواهر أخرى في أقاليم أبعد، إذ أصبحت رؤية الجغرافي أكثر عمقا ودقة وابتكر وسائل علمية جديدة تضمن له دراسة سليمة ودقيقة، وهذا يضمن لعمله أن يكسب قيمة جغرافية لها وزنها في العالم[2].

وقد دخل في هذه المرحلة الفكر الجغرافي طور التغيير والتطور، مما ترتب بالدرجة الأولى ظهور وتصاعد مبدأ البحث عن الأسباب، وقد فرض هذا المبدأ نفسه فرضا على الفكر البشري بصفة عامة، وسلك الفكر الجغرافي الطريق المؤدية إلى التجديد، وصارت الرغبة الملحة في نقص الحقائق ودراسة الواقع وصولا إلى التفسير والتعليل غاية الجغرافيين الأسمى، ووجه البحث الجغرافي في الاتجاه الذي استهدف إبراز العلاقات الواقعية بين الظواهر الطبيعية والظواهر البشرية[3].

4 – الفكر الجغرافي المعاصر :

هيمنت دراسة الإقليم والإقليمية على الفكر الجغرافي خلال النصف الأول من القرن العشرين، وكان المنهج الإقليمي في الدراسة الجغرافية له الصدارة سواء في دول غرب أوروبا أوفي الولايات المتحدة، ولكن تضاءلت أهمية هذا المنهج في الخمسينات من هذا القرن بصفة عامة بعد الثورة الصناعية وما نتج عنها من تقدم حضاري في دول غرب أوروبا والولايات المتحدة، لأن هذا التقدم التكنولوجي قلل من الترابط بين البيئة الطبيعية وأثرها على الإنسان[4].

وقد أخذ الفكر الجغرافي منحى جديد وأصبح يميل إلى العمق والواقعية والموضوعية، وهذا لأجل تواصل الجغرافية انطلاقا نحو التطور الحقيقي، ووجد الفكر الجغرافي غايته المثلى من خلال توجيه الجغرافية نحو تقييم الظاهرة الجغرافية، وكان ذلك التوجه حاسما، لأنه يمثل نقطة تحول

1- رينيه كلوزييه، مرجع سابق ، ص50.

2- عيسى على إبراهيم ، مرجع سابق ، ص 361 .

3- صلاح الدين الشامي ،**التنمية الجغرافية** ، مرجع سابق ، ص 37،38.

4- محمود أبو العلا ، **الفكر الجغرافي**، ط$_1$، مكتبة الأنجلو مصرية ، القاهرة ، 1997م ، ص43.

هامة، تقود التقدم وترشده، والتزمت الجغرافية عندئذ بعدم التوقف عند حد التوزيع والتعليل والربط لدى دراسة أي ظاهرة جغرافية، بل كانت دعوة لكي يتجاوز ذلك الحد وصولا إلى التقييم، وقد تحمل الجغرافي هذا البعد المستجد ولكي يصل البحث الجغرافي الموضوعي إلى إنتاج أمثل[1]، حيث أفلح الاجتهاد الجغرافي ليسير في تطوير الهدف الجغرافي، تطويرا مناسبا حسب حاجة العصر من العمل الجغرافي، كما أفلح أيضا في المحافظة على وضع علم الجغرافية المعاصرة في مكانه المناسب، وهو علم بيني يعنى بالعلاقة الحميمية بين العلوم الطبيعية في جانب، والعلوم الإنسانية في جانب آخر، وأصبح الاجتهاد الجغرافي يبلغ الغاية ويستخلص النتائج حتى يخدم حركة الحياة[2].

---

[1]- صلاح الدين الشامي ،**التنمية الجغرافية** ، مرجع سابق ، ص 53.

[2]- صلاح الدين الشامي، **الجغرافيا المعاصرة ماذا عن تطور الهدف واحتواء الأزمة** ، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987م، ص135.

المبحث الثالث: أهمية الرّحلة أنواعها ودوافعها.

1 – أهمية الرحلة :

تعتبر الرحلة حركة مرنة في البرّ والبحر اهتم بها العرب والمسلمون عامة، فإن رحلات العرب كثيرة لا تعد ولا تحصى، وقد تعددت أسباب هذه الرحلات ونتج عنها حصادا معرفيا ضخما، فهي عبرت عن منطق الانفتاح العربي الإسلامي على العالم[1].

وقد نالت الرحلة في الإسلام حقها الكامل في الاهتمام والأمان من ناحية، واستحقاقها الفعال وقوة الدفع والحواجز على الطريق في البرّ والبحر من ناحية أخرى، حيث واصل نفرٌ نشيط من المسلمين أصحاب الخبرة في الرّحلة وأداء دورها الوظيفي فكان الخروج في الرّحلة هي من المهام المنوطة بهم[2].

هذا وتحدث **صلاح الدين الشامي**[3]على الرّحلة في العصر الإسلامي واعتبر أن حركة الجهاد هي من أوائل رحلات المسلمين نحو الأقطار التي نتج عنها انتشار الإسلام وإعلاء كلمة الحق والغوص داخل آسيا وافريقيا، ومع قيام الدولة العباسية وبروز الانفتاح العربي من مختلف التيارات الحضارية وظهرت ما يسمى بالرحلات التكليفية التي لعبت دورا بارزا على مختلف الأصعدة السياسية والاقتصادية، فقد كان الخلفاء يبعثون الرّحالة كوفود للأقطار مما ساهمت كثيرا في الجانب السياسي، كما برزت أهمية الرّحلة في العصر الإسلامي على الجانب الاقتصادي وخاصة الرحلات التجارية التي نشطت حركة التجارة الإسلامية، كذلك ساهمت الرّحلة في تقدير الخراج وذلك من خلال الرّحالة وكتاباتهم على الأرض ونوع التربة والمياه والمناخ التي تعتبر الشروط الأولى في تقدير الخراج.

تعتبر الرحلة مصدر لوصف الثقافات الإنسانية ولرصد بعض جوانب حياة الناس اليومية في مجتمع معين وخلال فترة زمنية محددة، لذا كان للرّحلات قيمة تعليمية من حيث أنّها أكثر المدارس

---

[1] ـ صلاح الدين الشامي ، **الفكر الجغرافي**، مرجع سابق ، ص54.

[2]ـ جمال الدين فاتح الكيلاني، مرجع سابق، ص50.

[3]ـ **الفكر الجغرافي**، مرجع سابق ، ص65.

تثقيفا للإنسان وإثراء لفكره وتأملاته عن نفسه وعن الآخرين ،فالرّحلة كانت تصف الكثير من عناصر ثقافة البلدان التي ذهبوا إليها وأحوال الشعوب التي اختلطوا بها[1].

كما أن الرحلة كان لها صدى من نوع آخر في التوثيق التاريخي وخاصة المتأخّرين منهم، وخاصة إذا انفرد الرحالة بذكر مشاهد ومواقف شاهدها او مرّ بها وانفراده بذلك الخبر دون سواه فيغري المؤلف أو المؤرخ لإضافة معلومة جديدة لم يذكرها أحد من المؤرخين وذلك في ظل انتشار الكتابات الموسوعية وكثرة التأليف و التأريخ دون تمحيص وتدقيق[2].

وكان للرحلة أيضا الأثر الواضح والأهمية البالغة على مختلف الجوانب التاريخية والأدبية والجغرافية والوثائقية وذلك من خلال صدق الرواية ودقة معلومات الرحالة، كما أنه على المستوى القيمة الفنية فالرّحلة تزود القراء بمعلومات وصور ممتعة وأخبار تلذذ وتمتع وتستعرض الأحداث بصورة أدبية تنسق مع النفس البشرية فتشكل رافد من روافد الفن والمتعة الأدبية[3].

هذا وقد أثرت الرحلة على الجانب العلمي والتعليمي وذلك من خلال سفر طلبة العلم لتحصيل مختلف العلوم خاصة علم الحديث، والتي كانت لها النتائج الإيجابية الواضحة والدقيقة على العلم والتعليم وعلى العالم والمتعلم داخل الدولة الإسلامية، وهذا بعد تحقيق الهدف الأسمى والأهمية الأولى هي نشر الإسلام ونشر الحضارة العربية الإسلامية[4].

2 – أنواع الرحلات ودوافعها:

لقد عرف المسلمون أهمية الرحلات فقاموا بالعديد منها وذلك لأغراض وغايات مختلفة[5]:

أ_ الرحلات الدينية:

1- حسين محمد فهيم ، مرجع سابق ، ص15.

2- جمال الدين فاتح الكيلاني ، مرجع سابق، ص50.

3- نوال عبد الرحمن شوابكة، مرجع سابق، ص53 .

4- حسين محمود حسين ، مرجع سابق ، ص7 .

5- محمد محمود محمدين، **التراث الجغرافي الإسلامي**، ط$_3$، دار العلوم، السعودية، 1419هـ -1999م، ص135.

وتمثل الأنواع الرئيسة، فأغلبية المتوجهين إلى المشرق الإسلامي بغرض ديني وهي أداء فريضة الحج وزيارة قبر النبي صل الله عليه وسلم[1]، تطهيرا للنفس من دنس الذنوب، وعهدا للسير على الصراط المستقيم وأملا في المغفرة[2]، فالأماكن المقدسة تتمتع بمكانة عالية عند المسلمين في كل الأصقاع[3].

ب- الرحلات العلمية:

حيث نجد أن الارتحال في طلب العلم ظاهرة مألوفة منذ ظهور الإسلام، وقد روى البخاري في القرن الثالث الهجري أن جابر بن عبد الله رحل مسيرة شهر إلى عبد الله بن أنيس الأنصاري في طلب حديث واحد، وكثير من العلماء المسلمين قطعوا آلاف الأميال لطلب العلم وتفرقوا في أقطار العالم الإسلامي[4].

ج_ الرحلات الإدارية والسياسية:

كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى ملوك وحكام الدول الأخرى، وذلك لتبادل الرأي وتوطيد العلاقات أو لمناقشة شؤون الحرب والسلام أو تمهيدا لفتح أو غزو[5]، أو لفض الخصومات وتصفية النزاعات، وأشهر مثال نقدمه حين توجه الرسول صل الله عليه وسلم هو وأصحابه إلى مكة لأداء أول عمرة بعد الهجرة بمقتضى رؤيا رآها الرسول صل الله عليه وسلم، وكانت نية الرسول وأصحابه واضحة وصريحة لم تكن فتح مكة ودخولها ولكن قريش ارتابت وتعاهدت مع حلفائها أن يحولوا بين المسلمين، وأخذ الرسول يعمل بكل جهده على تجنب الحرب وتفادي لقاء قريش وقد كان عثمان بن عفان هو سفير صلح الحديبية وإنهاء الخلاف بين قريش

---

[1]- علوي مصطفى ، **تلمسان من خلال كتب الرحالة والجغرافيين المغاربة في القرن 7 إلى القرن 9 هـ** ، أطروحة دكتوراه ، جامعة الجيلالي سيدي بلعباس، 2014-2015 ، ص 28.

[2]- فؤاد قنديل، مرجع سابق، ص19.

[3]- علي ابراهيم كردي، مرجع سابق، ص13.

[4]- محمد محمود محمدين، مرجع سابق، ص136.

[5]- علي ابراهيم كردي، مرجع سابق، ص20.

والنبي صل الله عليه وسلم[1]، وإجازة الخروج من دار الحرب إلى دار الإسلام والتي كانت فرضا في عهد النبي صل الله عليه وسلم لقوله: " لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا" [2].

د_ الرحلات التجارية:

حيث استمرت الرحلات التجارية التي اشتهر بها العرب(رحلة الشتاء والصيف) في ظل الإسلام، وازدهرت نتيجة لاتساع الدولة وسهولة التنقل في داخل أقاليمها، إلى جانب التقاء المسلمين في موسم الحج، فكانوا يعقدون الاتفاقات والصفقات التجارية، وساعدهم على الرحلات التجارية وحدة الثقافة والدين في أقطار العالم الإسلامي[3].

وأيضا لتبادل السلع أو لفتح أسواق جديدة لمنتجات محلية، أو لجلب سلع تتوافر في بلاد أخرى وتندر في بلد المسافر، وقد يكون هربا من الغلاء وسعيا وراء الرخص واليسر والوفرة أو العمل[4].

هـ- دوافع سياحية وثقافية:

وتبرز عن حب الرحالة للتنقل وتغيير الأجواء والمناظر بالإضافة إلى حبه للمشاهدة والمغامرة ومعرفة الجديد من الخلق وطبيعة البشر ومعرفة العجائب والغرائب في العالم[5]، وقد اهتم الجغرافيون العرب والمسلمين بالسفر والتنقل والترحال حبا في الاستطلاع وجمع المعلومات حتى أن الله تعالى ذكر في كتابه العزيز: { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ۚ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (20)}[6]، وقال أيضا:{ جَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ ۖ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (18)}[7].

---

[1]- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي ، مرجع سابق ، ص30 .

[2]- أبي الحسن مسلم بن الحجاج القرشي النسب، **صحيح مسلم**، اعتنى به: أبو قتيبة نظر محمد القرياني، ط$_1$، دار طيبة، الرياض، 1427-2006م، مج[1]، ص903.

[3]- محمد محمود محمدين، مرجع سابق، ص139.

[4]- علي ابراهيم الكردي، مرجع سابق، ص20.

[5]- فؤاد قنديل ، مرجع سابق ، ص 20.

[6]- سورة العنكبوت ، الآية : 20.

[7]- سورة سبأ ، الآية: 18.

و- دوافع صحية:

كالسفر للعلاج أو الاستشفاء أو إراحة النفس من ألوان العناء وتخليصها من الكدر كالارتحال إلى المناطق الريفية ونحوها وقد يكون هربا من الوباء والطاعون أو التلوث[1].

[1]- جمال الدين فاتح الكيلاني ، مرجع سابق، ص48.

المبحث الرابع: نماذج أشهر أعلام الرحالة والجغرافيون:

أولا: ابن خرداذبة وابن رسته القرن (3هـ– 9م):

1 – ابن خرداذبة (نحو 205 – نحو280هـ = نحو 820 – نحو 893م):

عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة أبو القاسم، مؤرخ جغرافي فارسي الأصل، من أهل بغداد، كان جده خرداذبة مجوسيا أسلم على يد البرامكة، واتصل عبد الله بالمعتمد العباسي، فولّاه البريد والخبر بنواحي الجبل[1]، ونادم المعتمد وخص به، وكان راوية للأخبار والآداب، ويأتي في تصانيفه بالغرائب حتى قال بعضهم في شيء نقله عنه: كذا زعم ابن خرداذبة وإن يكن كاذبا فعليه كذبه، وكان **أبو الفرج الأصفهاني** إذا أورد عنه شيئا في كتابه أرفقه بالوقيعة فيه والتنقص له بقوله إنه قليل التصحيح لما يرويه ويضمنه كتبه[2].

ويقول: إنه كثير التخليط، قليل التحصيل، ومن تصانيفه: كتاب (المسالك والممالك)، كتاب (أدب السماع)، كتاب (الطبيخ)، كتاب (اللهو و الملاهي)، (كتاب جمهرة الأنساب الفرس)، كتاب (الأنواء)، كتاب (الندامى و الجلساء)، كتاب (الشراب)[3].

2 – ابن رسته:توفي300هـ – 912م

أحمد بن عمر، أبو علي ابن رسته، عالم جغرافي فارسي الأصل من أهل أصفهان، رحل إلى بلاد العرب حاجا سنة 290هـ[4]، وكان يُظن أن اسمه ابن دسته، وعرف ابن رسته في الحجاز حوالي عام 903م، وله موسوعة علمية ضخمة لايزال معظمها مفقود، ويعرف منها الآن الجزء السابع فقط الذي يبحث في الفلك والجغرافيا والرياضيات وتعرف هذه الموسوعة بعنوان: " **الأعلاق**

---

[1]- الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين** ، ط$_{15}$، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج[4]، ص190 .

[2]- ياقوت الحموي، **معجم الأدباء** ، تح: إحسان عباس، ط$_{1}$، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993، ج[4]، ص 1573.

[3]- الصفدي، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط - تزكي مصطفى، ط$_{1}$، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1420-2000م، ج[19]، ص229.

[4]- الزركلي، ج[1]، مصدر سابق، ص185 .

النفسية "، ويبدو أن ابن رسته كان ميالا للتنجيم وإثبات صحته على أسس دينية وفي كتاباته إشارة إلى **الفرغاني وأبي معشر** الفلكي (المنجم)[1].

قضى ابن رسته معظم حياته في البحث والاستقصاء، واعتمد في تأليف موسوعته على مؤلفات علماء العرب والمسلمين الأوائل البارزين في العلوم التجريبية لذا أخرجها موسوعة متكاملة، واهتم بعلم الفلك لعلاقته القوية بعلم الجغرافية لذا قدم دراسة تتعلق بمركز الأرض وحجمها وعلاقتها بالفضاء الخارجي، كما شرح بالتفصيل خطوط الزوال وحركة الأجرام السماوية في كتابه الأعلاق النفسية وهذا يوحي بأنه من العلماء المتمكنين في علم الفلك[2]، وتناولت موضوعاته الجغرافية الجغرافيا الطبيعية والفلكية والرياضية والوصفية، حيث وصف الأنهار والبحار وايران وبلاد العرب ووصف تخطيط وتنظيم العالم الإسلامي وإدارته وطرق مواصلاته والقسطنطينية وبقية الإمبراطورية البيزنطية والهند الشرقية إضافة إلى ذكر العجائب والغرائب[3].

ثانيا: المسعودي والمقدسي القرن (4هـ- 10م) :

1 – المسعودي: توفي حوالي 346هـ – 957م

علي بن الحسين بن علي، أبو الحسن المسعودي، من ذرية عبد الله بن مسعود، مؤرخ ورحالة وبحاثة، من أهل بغداد، أقام بمصر وتوفي فيها، وقد كان معتزليا[4]. عداده في البغداديين، وأقام بمصر مدة وكان أخباريا علامة صاحب غرائب ومُلَح ونوادر، وقد قيل أنه من أهل المغرب، وهو غلط، لأن المسعودي ذكر في السفر الثاني من كتاب مروج الذهب، وقد عدّد فضائل الأقاليم ووصف هواءها واعتدالها وانحرافها، ثم قال: وأوسط الأقاليم إقليم بابل الذي مولدُنا به[5]، وأخذ عن **أبي خليفة الجمحي**، و**نفْطويه**، وعِدّة قيل أنه مات في جمادى الآخرة سنة وأربعين وثلاثة مائة[6].

---

[1]- محمد فارس، مرجع سابق، ص31 .

[2]- علي بن عبد الله الدفاع، **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية**، مكتبة التوبة، د.م، د.س، ص85.

[3]- محمد فارس، مرجع سابق، ص32،31.

[4]- الزركلي، ج4، مصدر سابق، ص 277.

[5]- الصفدي، ج21، مصدر سابق، ص5 .

[6]- الذهبي، **سير أعلام النبلاء**، تح: ابراهيم الزيبق، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ - 1996م، ج15، ص 569 .

ومن علامة وفاء المرء دوام عهده وحنينه إلى إخوانه، وشوقه إلى أوطانه، ومن علامة الرشد أن تكون النفس إلى مولدها تائقة، وإلى مسقط رأسها شائقة، فهذا يدل على أن الرجل بغدادي الأصل وإنما انتقل إلى ديار مصر فأقام فيها، وهو يحكي في كتبه كثيرا ويقول: رأيت أيام كوني بمصر كيت وكيت[1].

وله من التصانيف: كتاب مروج الذهب، كتاب ذخائر العلوم، كتاب الرسائل والاستذكار، كتاب التاريخ في أخبار الأمم من العرب والعجم، كتاب التنبيه والإشراف، كتاب خزائن الملك وسر العالمين، كتاب المقالات في أصول الديانات، كتاب أخبار الزمان، كتاب أخبار الخوارج وكتاب البيان في أسماء الأئمة[2].

2 – المقدسي :(336 – نحو 380 هـ – نحو 990 م)

محمد بن أحمد بن أبي بكر البناء المقدسي، ويقال له البشاري، شمس الدين، أبو عبد الله: رحالة جغرافي، ولد في القدس، وتعاطى التجارة، فتجشم أسفارا هيأت له المعرفة بغوامض أحوال البلاد، ثم انقطع إلى تتبع ذلك، فطاف أكثر بلاد الإسلام[3]، كان جده ممن ساهموا ببناء ميناء عكا في عهد ابن طولون، أما أمه فتنتمي لعائلة من قرية بير من أعمال تومس في إقليم الديلم على الحدود الغربية لخراسان، لذلك كان متقنا للفارسية، وقد ساعده هذا في نجاح مهماته في معظم أقاليم الشرق[4].

عُرف بألقاب كثيرة منها **البشاري والشامي والمقدسي** والبناء وغيرها، وقد كان يقصد التغيير لاسمه باستمرار لكي يندمج في صفوف الجماهير حتى يتمكن من دراسة حياتهم الاجتماعية عن كثب، وقد نال المقدسي شهرة عظيمة من خلال معلوماته الفريدة التي قدمها، حيث تجشم عناء السفر لكي يحصل على المعلومات الصحيحة عن البلاد الإسلامية، فكان من علماء العرب

---

[1]- ياقوت الحموي ،**معجم الأدباء**، ج5، مصدر سابق، ص 1705.

[2]- الصفدي، ج21، مصدر سابق، ص6 .

[3]- الزركلي، ج5، مصدر سابق، ص312 .

[4]- ابراهيم أحمد سعيد، **إسهامات المقدسي في الجغرافية والدراسات الإقليمية** ، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان 117 – 118، 2012، ص145 .

المسلمين البارعين الذين يمتازون بقوة الملاحظة وسعة الأفق، لذا استقى المقدسي معلوماته الجغرافية من ثلاثة منابع بملاحظاته ومشاهداته بنفسه وما سمعه من العلماء ذوي الثقة والأمانة وما وجد مدونا في بطون الكتب[1].

ولم يتجول في البلاد سائحا كما تجول المقدسي، ولم ينتبه أحد أو يحسن ترتيب ما علم به مثله، وصنف كتابه " أحين التقاسيم في معرفة الأقاليم "[2].

ثالثا: البيروني والبكري القرن (5هـ– 11م) :

1 – البيروني:

بكسر الباء الموحدة وسكون الياء آخر الحرف وضم الراء بعدها واو في آخرها النون، هذه النسبة إلى خارج خوارزم فإن بها من يكون من خارج البلد ولا يكون من نفسها يقال له: فلان بيروني هست، ويقال بلغتهم انبيذك هست، والمشهور بهذه النسبة أبو ريحان المنجم البيروني[3].

محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني الخوارزمي، وهذه النسبة معناها البراني، لأن بيرون بالفارسية معناها برّا، ولأن مقامه بخوارزم كان قليلا سمي بهذا الاسم، فأهل خوارزم يسمون الغريب بهذا الاسم، كأنه لما طالت غربته عنهم صار غريبا[4]، وهو من أجلاء المهندسين، وقد سافر في بلاد الهند أربعين سنة وصنف كتبا كثيرة، وبيرون التي هي منشأه ومولده بلدة طيّبة فيها غرائب وعجائب، وقد زادت تصانيف البيروني على حمل بعير[5].

قيل في تحقيق أمر منازل العمر: سهولة الشيء وصعوبته قلما تطلق، وإنما تضافان إليه بحسب اختلاف الأحوال، فيسهل بها من جهة ويتعذر من جهة أخرى[6]، وضف كتبا كثيرة منها:

1- علي بن عبد الله الدفاع، مرجع سابق، ص 124.

2- الزركلي، ج5، مصدر سابق، ص312.

3- السمعاني، **الأنساب**، ط1 ، دائرة المعارف ، حيدر أباد، 1397 هـ - 1977 م، ج2، ص 392 .

4- ياقوت الحموي، **معجم الأدباء** ، ج5 ، مصدر سابق ، ص2331 .

5- البيهقي، **تتمة صوان الحكمة**، د. ن، لاهور، 1351 م، ص 62،63.

6- البيهقي، **تاريخ حكماء الإسلام**، تح: محمد كرد علي، مطبعة الشرق، دمشق ، 1365هـ - 1964م، ص74 .

الآثار الباقية عن القرون الخالية، الاستيعاب في صنعه الاسطرلاب، الجماهر في معرفة الجواهر، تاريخ الأمم الشرقية، القانون المسعودي، تاريخ الهند، الإرشاد، تحديد نهايات الأماكن لتصحيح مسافات المساكن، وتحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مزدولة[1].

2 – البكري: توفي حوالي 487هـ – 1094م

عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي أبو عبيد: مؤرخ جغرافي، ثقة، علامة بالأدب، له معرفة بالنبات، نسبته إلى بكر بن وائل، كانت لسلفه إمارة في غربي الجزيرة الأندلس[2].

تتلمذ أبو عبيد الله على يد **العذري وابن عبد البر**، وارتحل من موطنه إلى قرطبة بسبب سيطرة العباديين على امارة شلطين إمارة والده المطلة على المحيط الأطلسي، وكان ذلك فرصة له لاستكمال دراسته في معاهد قرطبة التي نسب نفسه إليها وأقام بقية عمره فيها[3]، ومكث أبو عبيد البكري حوالي خمسا وعشرين سنة في مدينة إشبيلية التي كانت تزدحم بجهابذة الفكر ليس فقط في علم الجغرافية، ولكن أيضا في جميع فروع المعرفة وبقي هناك يبحث ويدقق بعض النظريات العلمية المستعصية عليه مع زملائه علماء العرب والمسلمين المرموقين تحت رعاية أمير إشبيلية **المعتمد بن عباد** الذي كان يكتظ مجلسه بالعلماء في كل مناسبة[4].

وكان أبو عبيد البكري من مفاخر الأندلس، وهو أحد رؤساء الأعلام، وتواليه قلائد في أجياد الأيام[5]، وله كتب جليلة منها: المسالك والممالك، كتاب معجم ما استعجم، أعلام النبوة، شرح أمالي القالي، التنبيه على أغلاط أبي علي القالي في أماله، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، الإحصاء لطبقات الشعراء، أعيان النبات، ورسائل بعث بها إلى بعض معاصريه، وإنشاؤه مسجع على طريقة كتاب زمانه[6].

---

[1]- الزركلي، ج5 ، مصدر سابق، ص314.
[2]- الزركلي، ج4، مصدر سابق، ص98.
[3]- محمد فارس، مرجع سابق، ص 66.
[4]- علي بن عبد الله الدفاع، مرجع سابق، ص 137 ، 138 .
[5]- أحمد رمضان أحمد، مرجع سابق، ص145.
[6]- الزركلي، ج4، مصدر سابق، ص98 .

رابعا: الإدريسي وأبوحامد الأندلسي القرن(6هـ– 12 م) :

1 – الإدريسي :(493 – 560هـ = 1100 – 1165 م)

محمد بن محمد بن عبد الله إدريس الإدريسي الحسني الطالبي، أبو عبد الله: مؤرخ جغرافي، من أكابر العلماء بالجغرافية، من أدارسة المغرب الأقصى، ولد في سبتة ونشأ وتعلم بقرطبة[1].

واسمه الكامل هو محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، الشريف الإدريسي، مؤلف كتاب: "**رجار**" وهو" **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**"، نشأ في أصحاب رجار الفرنجي صاحب صقلية، وكان أديبا ظريفا شاعرا مغرى بعلم جغرافيا، صنف لرُجار الكتاب المذكور وفيه ترجمة رُجار في حرف الراء شيء من ذكر هذا الكتاب وسبب تصنيفه[2].

وهو أول جغرافي رسم خريطة سليمة للعالم، ويعتبر من أكبر علماء الجغرافيا المسلمين، قضى شطرا من حياته في رسم أول خريطة سليمة للعالم، بناها على القواعد العلمية الصحيحة والحقائق الفنية التي عرفت آنذاك، والتي في واقع الأمر لا تختلف كثيرا عما هو مستخدم في هذا العصر، صحح الشريف الإدريسي للناس وللأوربيين بصفة خاصة مفاهيمهم عن العالم، وقد قضى الإدريسي في وضع كتابه نزهة المشتاق حوالي خمسة عشر عاما، حيث تضمن خرائط جغرافية لبعض المدن والجبال والأنهار، ويعتبر أحسن كتاب صنف في زمانه عن بلدان أوروبا والأندلس[3].

---

[1]- الزركلي، ج7، مصدر سابق، ص24 .

[2]- الصفدي، ج1، مصدر سابق، ص 138 .

[3]- باقر أمين الورد، **معجم العلماء العرب**، مر: كوركيس عواد، ط1، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1406 هـ - 1986 م، ج1، ص 71 .

2 – أبو حامد الأندلسي الغرناطي :

هو محمد بن عبد الرحيم بن سليمان بن ربيع القيسي الغرناطي، ويكنى بأبي حامد الغرناطي، ولد في غرناطة سنة 473هـ، وتوفي في دمشق سنة 565 هـ عن عمر يناهز 92 سنة، نشأ وترعرع في غرناطة، ولكنه غادرها وهو في ريعان شبابه في السابعة والعشرين من العمر[1].

وهو عالم كونياتي (كوزموغرافي) ورحالة أندلسي، وهو من معاصري العالم الجغرافي الإدريسي، ويعتبر صاحب اسهام في بنية الأدب الجغرافي العربي، كما يعتبر من أعلام القرن الفضي في الجغرافيا العربية الإسلامية شأنه في ذلك شأن **الإدريسي والبكري وابن سعيد وياقوت وأبي الفداء،** ولقد لقيت كتاباته عند العديد من أقطار أوروبا إقبالا واهتماما كبيرا من الباحثين الأوربيين خاصة فيما يتعلق بشعوب ما كان يدعى الاتحاد السوفيتي، ومن الذين أفادوا من مادة أبي حامد العالم الجغرافي **القزويني**[2].

يمثل أبو حامد ورحلته في القرن السادس الهجري، إضافة حقيقية للجغرافيين وأدب الرحلات، ويجوز أن نعده سندباد بحر وبر معا أو ابن الأندلس، فهو ليس كاتب رحلة، ولا جامع عجائب وغرائب، ولا جغرافيا خالصا، بل الثلاثة معا، وقد سجل أبو حامد الغرناطي كل مشاهداته وخبراته في كتابين " تحفة الألباب ونخبة الإعجاب " و" المعرب عن بعض عجائب المغرب "حيث اتجه اتجاها خطيرا، نحو تصور العجائب والغرائب بطريقة خرافية غير معقولة، غير أن بعضها اليوم يرى معقول[3].

خامسا: القزويني القرن(7هـ– 13 م) :

1 – القزويني :(605–682هـ = 1205 – 1283م)

1- علي بن عبد الله الدفاع، مرجع سابق ، ص 158 .

2- محمد فارس، مرجع سابق، ص65.

3- نوال عبد الرحمن الشوابكة، مرجع سابق ، ص59،58.

زكريا بن محمد بن محمود القزويني، الأنصاري (أبو يحي عماد الدين)، مؤرخ جغرافي، من القضاة، ولد بقزوين ورحل إلى الشام عاش في بغداد، ويعد من الخطاطين، توفي في واسط وحمل إلى بغداد، ولي قضاء واسط والحلة[1]، ولقد أمضى شطرا من حياته في قزوين ثم بدأ حركة التنقل وهو في ريعان شبابه، حيث قصد بغداد ودمشق لكي يتتلمذ على يد جهابذة الفكر فيهما، فنبغ في كل من العلوم الشرعية واللغوية والجغرافية والتاريخ والنبات والفلك والرياضيات والمعادن، ولكن ذاع صيته بين رفاقه في الحديث وعلومه[2].

صنف القزويني كتبا، منها:" آثار البلاد وأخبار العباد، خطط مصر، وعجائب المخلوقات " ترجم إلى الفارسية والألمانية والتركية[3]، وكتاب " الإرشاد في أخبار قزوين "، غير أن كلها قد انزوت في دائرة الظل ليأتي كتابه عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات، فيقترن اسمه باسم مؤلفه مدللا على عبقريته الفذة، حيث يعتبر هذا الكتاب موسوعة علمية شاملة[4].

وقد احتار الكثير من المؤرخين للعلوم في تصنيف القزويني، فمنهم من وضعه في قائمة علماء الطبيعة والفلك والرياضيات، واعتبره آخرون أمام مؤرخي العرب وجغرافييهم، وهو يبدو في الحقيقة وكأنه من كبار علماء كل من علم الجغرافية وعلوم الأرض وعلم النبات، ورغم أنه نال سمعة مرموقة في علم الفلك والرياضيات وقد كان يبني معلوماته على الحقائق البحتة، واشتهر بين معاصريه بالأمانة والصدق في النقل[5].

---

[1]- عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ - 1993 م،ج1، ص 734 .

[2]- علي بن عبد الله الدفاع، مرجع سابق، ص 185.

[3]- الزركلي، ج3، مصدر سابق، ص 46.

[4]- باقر أمين الورد، مرجع سابق ، ص165،164.

[5]- علي بن عبد الله الدفاع، مرجع سابق، ص185 .

سادسا: أبو الفداء وابن بطوطة القرن (8هـ– 14 م) :

1 – أبو الفداء: (672 هـ –732 هـ = 1273 – 1331م)

اسماعيل بن علي بن محمود بن محمد بن عمر بن شاهن شاه بن أيوب (الملك المؤيد، عماد الدين، أبو الفداء) صاحب حماة، عالم أديب، شاعر، مشارك في أنواع من العلوم كالتفسير، الأصلين، النحو، الفقه، الهيئة، المنطق، الفلسفة، الطب، العروض والتاريخ، ولد في جمادى الأولى بدمشق، وهو من أسرة الأمراء الأيوبيين الذين حكموا مصر وبلاد الشام[1].

نظم الشعر – وليس بشاعر – وأجاد الموشحات، رحل إلى مصر فاتصل بالملك الناصر (من دولة المماليك) فأحبه الناصر وأقامه سلطانا مستقلا في (حماة) ليس لأحد أن ينازعه السلطة، وأركبه بشعار الملك، فانصرف إلى حماة، فقرب العلماء ورتب لبعضهم المرتبات، وحسنت سيرته، واستمر إلى أن توفي بها[2].

انخرط أبو الفداء في العسكرية وهو في ريعان شبابه، فكان شجاعا مظفرا، وبرز بشجاعته وصفاته العسكرية إلى جانب ما يملكه من ذهن صاف وقريحة فياضة وملكة شعرية[3]، وهو رجل عسكري من الطراز الممتاز، وإلى العسكرية يضيف ثقافة شاملة موسوعية[4].

ومن آثاره: المختصر في أخبار البشر، تقويم البلدان، نظم الحاوي الصغير للقزويني في فروع الفقه الشافعي، منظومة الكافية لابن الحاجب في النحو، الكناش في العلوم في مجلدات كثيرة، وله شعر وموشحات[5].

2 – ابن بطوطة :(703–779هـ = 1304–1337م)

---

[1]- عمر رضا كحالة، مرجع سابق، ص 372 .

[2]- الزركلي، ج[1]، مصدر سابق، ص 319 .

[3]- علي بن عبد الله الدفاع، مرجع سابق، ص 197 .

[4]- يسرى عبد الغني عبد الله، مرجع سابق، ص 136 .

[5]- عمر رضا كحالة،ج[3]، مرجع سابق، ص372 .

هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم بن عبد الرحمن بن يوسف اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة بالتخفيف، وبعضهم يشددها، والجاري على الألسن خلافه، رحالة ومؤرخ، ولد ونشأ في طنجة بالمغرب الأقصى، وخرج منها سنة 725 هـ، فطاف بلاد المغرب ومصر والشام والحجاز والعراق وفارس، واستغرقت رحلته 27 سنة، ومات في مراكش، وتلقبه جمعية كمبردج في كتبها وأطالسها بأمير الرحالين المسلمين[1].

ويعتبر ابن بطوطة سيد الرحالة في القرن الرابع عشر، الثامن الهجري، فقد سلخ من عمره ثمانية وعشرين عاما يتنقل في أجزاء العالم المعروف في أيامه، حيث رحل أيضا إلى خوارزم وبخارى وكردستان وأفغانستان والهند، إذ خدم ملك دلهي ثماني سنوات وزار جزر المالديف وبعض جزر الهند الشرقية والصين وعاد إلى طنجة، ورحل رحلتين قصيرتين واحدة إلى الأندلس والأخرى إلى السودان[2].

وقد كان لابن بطوطة أربع رحلات وسبع حجّات، حيث استطاع أن يكتب عن مكة المكرمة كمًّا وكيفًا، شكلا ومضمونا، فقد ظلت مكة المكرمة شاخصة في مذكراته عند كل منعرج من تحركاته، ويكفي أن له أربع رحلات إليها، وسبع حجات، وأنه صام فيها ثلاث رمضانات، وهذا ما لم يتيسر لغيره[3].

وبعد عودته إلى مسقط رأسه شاءت الظروف أن يتصل سلطان مراكش الذي كان فاتحة خير على ابن بطوطة والأدب معا، إذ فسحت للرحالة الكبير فرصة التدوين، وخصه بكاتبه " ابن جزيّ " الذي صاغ ما أملاه له ابن بطوطة في تصنيف ما جاء على فوائده مشتملا ونيل مقاصده مكملا، ووسمه باسم " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار "[4].

---

[1]- الزركلي، ج [6]، مصدر سابق، ص236،235 .

[2]- أحمد محمد الشنواني، **موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام**، ط1، دار الزمان، المملكة العربية السعودية، 1428هـ - 2007 م، ص 17 .

[3]- عبد الهادي التازي، **رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة** ، مر: عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة، 1426 هـ - 2005 م، ج1، ص 138 .

[4]- جورج غريب، **أدب الرحلة تاريخه وأعلامه المسعودي ابن بطوطة – الريحاني**، دار الثقافة، بيروت، د.س، ص 61،60 .

المبحث الخامس: مصادر معلومات الرحالة المسلمين:

كان الرحالة والجغرافيون حريصين على أن تكون مصنفاتهم خلاصة رحلاتهم نافعة تفيد العام والخاص، فتوجهوا إلى كل الشرائح وأخذوا بعين الاعتبار صفة المتقبل، فبسطوا مادتهم واختزلوها حينا وتوسعوا فيها حينا آخر، وحرصوا على تأمين الإبلاغ، حتى لا يكون عليهم مهملا ضائعا بسبب الصياغة أو غموض الموضوع، فلا قيمة لعلم لا ينفع الناس ولا أهمية لعلماء لا يهتدي الناس بهم[1]، وتأكيدا لمعلوماتهم وأخبارهم اعتمد الرحالة والجغرافيون على مجموعة من المصادر المكتوبة والشفوية وذلك لإثبات صحة ما جاؤوا به.

1 – المصادر المكتوبة:

المصادر المكتوبة هي مدونات الفلكيين والجغرافيين الفرس والهنود واليونان المستجلبة من قبل العرب في عصر الترجمة، أو المجلوبة إليهم وقد تم تعريبها، وتمثل التراث العلمي للشعوب المذكورة، وإن هذه المدونات قد ساعدت المجتمع العربي الإسلامي عامة والعلماء والجغرافيون خاصة على الانفتاح على العالم ثقافيا واجتماعيا، بالإضافة إلى الاستفادة من الآخر، وقد تم تحديد المصادر الأجنبية المكتوبة بالرجوع إلى كتب الجغرافيين والرحالة العرب والمسلمين، وقد دلت المدونات العربية على هذه المصادر بإيراد أسماء مؤلفيها أو بذكر عناوين كتبهم[2].

هذا وقد احتك المسلمون بمختلف هذه الطرائق الأجنبية بعد انتشار الدين الإسلامي واتساع رقعته، بالإضافة إلى دخول مختلف الأعراق والأجناس للإسلام وانصهارهم داخل الدولة الإسلامية، فقد اتبع هؤلاء الرحالة مختلف المناهج والآليات للتعامل مع هذه المصادر المكتوبة وأهمها الترجمة وقد مثّلت مرحلة أولى وضرورية لمعرفة هذه المصادر، فكانت في عهد هارون الرشيد (149هـ

1- لطفي دبيش، **التواصل الحضاري في الثقافة الإسلامية من خلال مدونة الجغرافيين المسالكيين والرحالين العرب والمسلمين**، مركز النشر الجامعي، د. م، 2010، ص 24 .

2- حسين مرزوقي، **بلاد السودان في كتب الجغرافيين و الرحالين العرب والمسلمين إلى حدود القرن الثامن الهجري**، تق: محمد شقرون، ط$_1$، مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، 2018، ص 15 .

193 هـ / 760 م 809 م) عند تأسيس بيت الحكمة والقيام بترجمة آثار الحضارات السابقة لاسيما الآثار الهندية والفارسية واليونانية[1].

وعُدَّت الترجمة من آليات التلاقي الأولى مع الآخرين فقد جعلت الفكر العربي يتطور وتتوسع أفاقه وتتعمق نظرته ،ومن خلال ذلك انفتح العرب على الهنود والفرس واليونان فنقلوا أمّهات كتبهم إلى اللغة العربية ومنها الكتب الجغرافية[2].

هذا وقد أشار **آدم ميدز**[3] في كتابه على أن البحث في أحوال الأقاليم وليد النهضة العلمية التي ظهرت في القرن الثالث هجري حيث قال: أن الكندي كان من رؤساء حملة العلم اليوناني بين العرب سنة300هـ– 800 م، بالإضافة إلى أن ابن خرداذبة عند كتابته لكتاب المسالك والممالك اعتمد على بطليموس في بيان حدود الأرض ومسالكها.

وتأثر **الإدريسي**[4] أيضا بالكتب الأجنبية واعتمد عليها أثناء كتاباته حيث ذكر قاعدة الأطوال والأعراض التي اعتمدها بطليموس في مذهبه والتي تفيد في التحديد الهندسي لموقع البلدان حين قال: " ومن هذه الجزائر بدأ بطليموس يأخذ الطول والعرض ".

ولم تقتصر كتابات المسلمين في الجغرافيا على مجالات محددة، بل امتدت لتشمل مجالات عديدة ومتنوعة وكذلك كان التأثير بالكتب الأجنبية لذلك فإن المسلمين قد اهتموا بالجغرافيا الفلكية وقد برز هذا الاهتمام قبل ظهور الإسلام، فقد اهتموا بالنجوم، والكواكب وظواهر مختلفة واستخدموا النجوم ليهتدوا بها في أسفارهم، ومع ظهور الإسلام ودخول الفرس والهنود ازدهر علم الفلك وتطورت أجهزته وآلاته وذلك أن الصلاة والصوم تتطلب معرفة جغرافية فلكية لضبط أوقاتها في أنحاء الدولة الإسلامية، فإن **أبا جعفر المنصور** كان شديد الاهتمام بعلم الفلك، لذلك في عهده قام

---

[1]- حسين مرزوقي ، مرجع سابق، ص 20 .

[2]-لطفي دبيش، مرجع سابق، ص 39 .

[3]- **الحضارة الإسلامية في القرن 4 هجري أو عصر النهضة في الإسلام** ، تر: محمد عبد الهادي بوريد، أعد فهارسه: رفعت البدراوي، ط5، دار الكتاب العربي، لبنان ، د.س، مج2، ص7.

[4]- الإدريسي ، **نزهة المشتاق في اختراق الأفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1422 - 2002 م، مج1، ص 17 .

بالاستفادة من حضور وفد به رجل هندي ماهر في معرفة حركات الكواكب وحسابها وسائر أعمال الفلك على مذهب أمته، وخصوصا على المذهب الفلكي الرياضي **بْرهْمكَتِ** فكلف المنصور ذلك الهندي بإملاء مختصر الكتاب ثم أمر بترجمته إلى اللغة العربية وباستخراج كتاب تتخذه العرب أصلا لحساب حركاته ويتعلق به[1].

وقد اهتم المسلمون بالتصنيف في علم الفلك ويعد **الخوارزمي** (232هـ / 846م) من أوائل المؤلفين ويعتبر كتابه " **صورة الأرض** " أشهر المؤلفات الجغرافية المبكرة وقد اختلف في حقيقة هذا الكتاب فقد اعتبره البعض ترجمة لكتاب بطليموس في حين اعتقد البعض الآخر بأنه لا يمكن اعتباره نسخة مترجمة عن كتاب بطليموس، وإلى جانب علم الفلك فقد اهتم المسلمون بمفاهيم شكل الأرض وحركتها وقد نلمس هنا التأثير الجلي بالآراء اليونانية والرومانية ، ولاسيما بآراء أرسطوا وبطليموس حيث كانوا يعتقدون بداية أن الأرض مسطحة إلا أنهم سرعان ما تأثروا بالأفكار الأجنبية وآمنوا جميعا بأنها كروية، ويعتبر **أبو الريحان البيروني** من أكثر الجغرافيين المسلمين عناية بشرح نظرية كروية الأرض وقد اعتمد في كتاباته على البراهين التي ذكرها الإغريق والرومان وأضاف براهين جديدة[2].

وبالإضافة إلى كل ما سبق ذكره فإن الجغرافيين المسلمون تأثروا بالكتب الأجنبية بفكرة الإقليم، فقد تبناها العديد من الجغرافيين حيث قسم الكون إلى سبعة أقاليم، والقول بأن للأرض خط طول رئيسي يمر بما سموه " **قبة العرين** " وقد اتبع المسلمون هذه النظريات وتمسكوا بها ونقلوا كتاب المجسطي لبطليموس إلى العربية فأخذوا بأقواله فوجدوه يكمل ما أخذوه عن الهنود، إلا أنه فيما بعد أبا الريحان البيروني استبان خطأ الحساب لبطليموس واستطاع أن يعود بعبقريته بعلم الجغرافية إلى القواعد الأولى، قواعد المشاهدة، الرحلة والتجربة الشخصية[3].

---

[1]-كرلونلينو، **علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى**، ط$_1$، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1993 م، ص149 .

[2]- شاكر خصباك، **الجغرافيا عند العرب** ، ط$_1$، مؤسسة العربية، بيروت، 1986، ص19-22.

[3]- حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس** ، ط$_2$، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة ، 1986، ص 4-8 .

2 – المصادر الشفوية:

على الرغم من اعتماد الرحالة والجغرافيين على المصادر المكتوبة أثناء تأليفهم لكتبهم إلا أنهم لم يهملوا المصادر الشفوية التي اعتمدت على المشاهدة والملاحظة ،ولايمكن أن يكون ذلك إلا من خلال الترحال والسفر لذلك نجد أغلب الجغرافيين تنقلوا من مكان لآخر على الرغم من تعدد أسباب ترحالهم، حيث أنتجت التحولات الفكرية والثقافية مصادر جديدة فرضت نفسها على المشهد المعرفي أهمها المصدر البشري أي الإنسان نفسه، حيث اعتبر المصدر الشفوي أو الرؤية المباشرة الأكثر مصداقية وتأثيرا[1].

والمترحل إذا لم يغنم من رحلاته مالا يغنم عقلا كبيرا والرحلة في الثقافة العربية الإسلامية رفيعة الشأن لاقترانها بسلوك الأنبياء والحكماء والشعراء والعلماء، وما كان للرحلة أن تثبوا مثل هذه المكانة في نظام المعرفة والمجتمع في العصر الوسيط لولا الفوائد الناتجة عنها وعن عين الرحالة المتنقل عبر المكان والزمان والفئات[2].

وقد أبدوا فخرهم بمنهج المعاينة المباشرة لتوثيق المعلومة واعتبروه مقويا لمدوناتهم وسببا لتحقيق تفوقهم ولذلك استخدموا عبارات ترددت في مصنفاتهم دلت على تحقق المعاينة[3]، ونلمس ذلك من خلال قراءة كتابات الإدريسي حيث قال: " هذا الشيء عايناه "[4].

[1]- حسين مرزوقي، مرجع سابق ، ص 41.

[2]- لطفي دبيش، مرجع سابق، ص48 .

[3]- حسين مرزوقي، مرجع سابق، ص42.

[4]- الإدريسي، مرجع سابق، ص 232.

مما سبق نستنتج :

أن العرب قبل ظهور الإسلام لم تكن لديهم معرفة جغرافية علمية ومدونة، فإن كل المعلومات التي وصلتنا عنهم قد وصلت عن طريق الأشعار على الرغم من أن العرب عرفوا الرحلة والترحال قبل الإسلام، ومع ظهور الإسلام وانتشار أطرافه، عرف المسلمون الكثير من المعارف والمعلومات الجديدة عن طريق احتكاكهم بالشعوب الأخرى إما عن طريق الارتحال للجهاد وفتح الأمصار أو عن طريق التجارة وغيرها، تأثر العرب المسلمون بمختلف العلوم الأجنبية من خلال الاطلاع عليها ودراستها وذلك عن طريق الانفتاح الفكري للثقافات الأخرى والذي نتج عنه حركة الترجمة التي كان لها دورا بارزا في تغيير المسار العلمي والثقافي للمجتمع الإسلامي، التي فتحت باب البحث والدراسة التي توصل العرب من خلالها إلى نقص المعلومات الأجنبية وفتحوا أبواب أخرى للبحث من خلال الترحال والمعاينة الفردية التي قدمت وأضافت الكثير على جميع المستويات والمجالات، وليست على المستوى الجغرافي فحسب فمن خلال الترحال والسفر وصل العرب إلى أعلى درجات النضج الفكري والعلمي حيث حققوا المصداقية والموضوعية في نقل الأخبار وملامح الواقع الاجتماعي والاقتصادي والعلمي للشعوب الأخرى، إلا أنه لا يمكننا أن ننكر هناك بعض النواقص والأخطاء فهو بطبيعة الحال عمل إنساني لا يخلو من الأخطاء.

الفصل الثاني:

بلاد الصين في كتابات

الرحالة والجغرافيين

لقد أورد الرحالة والجغرافيون المسلمون وصفا شاملا لبلاد الصين، وأوضحوا سبل الوصول إليها، كما أشاروا لأنماط الحياة التي يعيشونها ومختلف الجوانب وخصائص هذه البلاد سواء السياسية، الاقتصادية والاجتماعية...، فيما تتمثل الصورة التي نقلتها نصوص هؤلاء حول بلاد الصين.

المبحث الأول: الوصف الجغرافي لبلاد الصين.

1 – التسمية:

ظهرت تسمية بلاد الصين في المصادر العربية الإسلامية في النصوص التاريخية والجغرافية المبكرة، غير أننا نجد المصادر التي سبقت المسعودي كسليمان التاجر واليعقوبي وابن خرداذبة لم يتطرقوا لأصل تسمية بلاد الصين، لذلك يعتبر **المسعودي**[1] أول من ذكر تسميتها في كتابه " **أخبار الزمان**"، أن قوما من "بني عامر بن يافث " قطعوا إلى ناحية الصين، وكان زعيمهم قد عمد إلى مراكب على حكاية سفينة جده " نوح عليه السلام " فركب هو وأهله وولده فيه، وقطع البحر إلى الصين، فعمروه وبنوا المدن وعملوا على الحكم ودقاق الصناعات ولطيفها، وملكوا ثلاثمائة سنة.

وقد ذكر" **ياقوت الحموي**[2] " الصين: بالكسر وآخره نون: بلاد في بحر المشرق مائلة إلى الجنوب وشماليها الترك، وقال ابن الكلبي عن الشرقي: سميت الصين بصين، "وصين وبَغَر ابنا كماد بن يافث "، وسميت بذلك لأن صين بن بغبر بن كماد أول من حلها وسكنها.

كما جاءت في " **نخبة الدهر**[3]"، بأن " فالغ" لما قسم الأرض بين ولد نوح عمْ أعطى لبني يافث الشرق، فعمل " عابور بن سويد بن يافث " فلكا مثل فلك " نوح عم " ثم أتى سفينة فركب فيه

---

[1] - **أخبار الزمان من أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**، ط2، المكتبة الحيدرية، العراق، 1486هـ - 1966م، ص 94.

[2] - **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1397 هـ - 1977م، مج3، ص 440 .

[3] - شيخ الربوة، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، مكتبة المثنى، بغداد ، 1963، ص 265.

بولده وقطع البحر الشرقي، فنزل بولده في تلك الأرض ثم ملك وملك من بعده ولده " صابور " وهو أبو الصين.

ذكر **الحميري**[1] في كتابه "**الروض المعطار**"، أن الصين سميت بأول من نزلها وهو " صائن بن عامور بن يافث " وهو الذي أثار المعادن وعمل الحكمة ودقائق الصناعات، وملكهم أزيد من مائتي سنة.

والصين اسم إقليم غربي في المشرق، سميت " بصين بن يافث بن نوح عليه السلام"[2].

2 – جغرافية وحدود بلاد الصين :

ساهم الجغرافيون المسلمون في إعطاء صورة واضحة حول الموقع الجغرافي لبلاد الصين، حيث تعرضوا لذكر أهم الأمم المجاورة لهذه البلاد سواء في نواحيها الشمالية والشرقية والغربية وحتى الجنوبية، حيث تحدثوا عن الطرق البرية والبحرية التي توصل إلى بلاد الصين، فبلاد الصين بلد إلى الشرق منها بحر الأوقيانوس المشرقي، وإلى جنوبها حدود الواق واق وجبل سرنديب والبحر الأعظم، وإلى غربها الهند والتبت وشمالها حدود التبت والتغزغز والخرخيز[3].

ذكر **الإصطخري**[4] في كتابه " **مسالك الممالك**"، وأما مملكة الصين فإن شرقيها وشماليها البحر المحيط، وأما جنوبها مملكة الإسلام والهند وإلى غربها البحر المحيط.

وبلاد الصين كبيرة فهي أكثر الأمم عددا وأفخمها مملكة وأوسعها دارا ومساكنهم محيطة بأقصى المشارف المعمورة ما بين خط معدل النهار إلى أقصى الأقاليم السبعة في الشمال[5].

---

[1] - **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: احسان عباس، ط$_2$، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م، ص371.

[2] - ابن سباهي زادة ، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تح: المهدي عبد الرواضية، ط$_1$، دار الغرب الإسلامي، د. م، 1427هـ - 2006 م، ص 443 .

[3] - مجهول، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب (كتبه عام 372 هـ)**، تح : يسوف الهادي، ط$_1$، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1419 هـ - 1999م، ص50 .

[4] - **مسالك الممالك**، مطبعة بريل ، ليدن، 1927م، ص5.

[5] - صاعد الأندلسي ، **طبقات الأمم**، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، 1912م، ص 8 .

ذكر في " **تحفة الألباب**[1]" أنها بلاد كبيرة، وملوكها عدل وإنصاف وهم أكثر أهل الهند أضعافا مضاعفة وفي أرضهم نعم كثيرة.

ووصفها **أبي الفداء**[2] في" **تقويم البلدان**" قائلا: يحيط بالصين من الغرب المفاوز التي بين الصين والهند، ويحيط بها من جهة الجنوب البحار، ويحيط بها من جهة الشرق البحر المحيط الشرقي، ويحيط بها من جهة الشمال أراضي يأجوج ومأجوج وغيرها من الأراضي المنقطعة الأخبار عنا.

وبلاد الصين بلاد واسعة فمن أراد الصين في البحر قطع سبعة أبحر كل بحر منها له لون وريح وسمك ونسيم ليس هو في البحر الذي يليه، فأوّلها بحر فارس الذي يركب فيه من سيراف وآخره رأس الجمجمة، وهو ضيق فيه مغائص اللؤلؤ، والبحر الثاني الذي مبدأه من رأس الجمجمة يقال له **لاروي،** وهو بحر عظيم وفيه جزائر الوقواق وغيرهم من الزنج، والبحر الثالث يقال له **الهركند** وفيه جزيرة سرنديب، والبحر الرابع يقال له **كلاه بار**، وهو بحر قليل الماء، والبحر الخامس يقال له **سلاهط** وهو بحر عظيم كثير العجائب، والبحر السادس **كردنج** وهو كثير الأمطار، والبحر السابع يقال له بحر **صنجي** ويقال له أيضا كنجلي وهو بحر الصين[3].

والقاصد إلى الصين يمر من مايط ذات اليسار إلى جزيرة يتومه، ومنها إلى قمار خمسة أيام ومن قمار إلى الصَّنف على الساحل ميسرة ثلاثة أيام، ومنها إلى **لوقين** (تونكين)، وهي أول مراقي الصين مائة **فرسخ**[4] في البر والبحر، ومن لوقين إلى **خانفو** وهي المرقى الأكبر مسيرة أربعة **أيام**

---

[1] - أبو حامد الأندلسي ، **تحفة الألباب ونخبة الإعجاب**، تح : اسماعيل العربي، ط$_1$، دار الأفاق الجديدة، المغرب، 1413هـ - 1993م ص 46 .

[2] - **تقويم البلدان**، دار صادر ، بيروت، د.س، ص 356 .

[3] - اليعقوبي ، **تاريخ اليعقوبي**، مطبع بريل ، ليدن، 1883، ج^1، ص 207، 208 .

[4] - **الفرسخ**: واحد الفراسخ فارسي معرب، والفرسخ الساعة من النهار، والفرسخ من المسافة المعلومة في الأرض مأخوذ منه، وهو ثلاثة أميال هاشمية، ويعادل5.9193 كيلومتر/ شرين ثابت حسني عبد الجواد، **ألفاظ المقادير في العربية "دراسة في البنية والدلالة"**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، كلية الدراسات العليا، فلسطين، 2012م، ص34.

في البحر ومسيرة عشرين يوم في البر، ومنه إلى **قانطو** مسيرة عشرين يوما ولكل مرقى من مراقي الصين نهر عظيم تدخله السفن ويكون فيه المد والجزر[1].

وساحل الصين مسيرة شهرين والبحريون يقدرون سير المراكب في كل يوم إذا طاب الريح خمسين فرسخا، فعلى هذا التقدير يكون ساحلها ثلاثة آلاف فرسخ على شط البحر وأكثرها مسكون ويقال بها ثلثمائة مدينة عامرة، ومملكة الصين واسعة الرقعة كثيرة المدن والأمصار والقرى وتدخل ثلاثة أقاليم لامتداد أطرافها وكثرة بلادها، ولما كانت بلادها موضوعة في مشارف الشمس كانت أهويتها صافية ومياهها باردة عذبة، وتربها طيبة[2].

أرض الصين عريضة، طولها من المشرق إلى المغرب نحو ثلاثة أشهر وعرضها من بحر الصين إلى بحر الهند في الجنوب، وإلى سد يأجوج ومأجوج في الشمال وقد قيل أن عرضها أكثر من طولها وهي تشتمل على الأقاليم السبعة[3].

ويقال إن فيها ثلاثة مئة مدينة ونيفا عامرة كلها سوى القرى والرساتيق، وأبوابها اثنا عشر بابا وهي جبال في البحر، بين كل جبل فرجة يُسار منها إلى موضع تصيبه من مدائن الصين وتصعد المراكب في مدائن الصين الشهر والأكثر والأقل، والمد والجزر يدخلان من البحر كل يوم وليلة مرتين[4].

3 – المدن الصينية :

وللصين عدا ذلك تسعة مدن عظيمة على ساحل الأوقيانوس، وأسماء هذه المدن التسعة هي: إيرش، فراجكلي، ثاني، خساني، تنكوي، بونوغني، قوري وأنفس، ولكل واحدة منها نواحي مختلفة،

---

[1] - ابن خرداذبه ، **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، 1889 م، ص 69 .

[2] - المروزي ، **أبواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان (كتبه سنة 514هـ)**، د. ن، بغداد، د.س، ص14.

[3] - ابن الوردي، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح : أنور محمود زناتي، ط$_1$، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1428هـ - 2008م، ص129.

[4] - الحميري، مصدر سابق، ص 370.

كل منها تختلف عن الأخرى من حيث الدين وأشكال أهلها وأخلاقهم، وفيهن مدن كثيرة، وإن مقاليد أمور جميع هذه البلدان هي بيد فغفور الصين[1].

خمدان(سي نجان فو): وهي الآن عاصمة إقليم تشين–سي[2]، حاضرة الصين، وهي مدينة عظيمة، ومستقر فغفور الصين، فيها أشجار كثيرة، وهي عامرة ذات خيرات، تقع على ساحل البحر الذي يخرج منه اللؤلؤ، أهلها مدوروا الوجوه ذو أنوف عريضة، لباسهم الديباج والحرير، ثيابهم ذات أكمام واسعة وأذيال طويلة[3].

وحوالي خمدان التي هي مدينة الملك الملقب بفغفور مائة وعشرين قرية وفي كل قرية زهاء ألف رجل مرتبة وللمدينة أربعة أبواب وإذا ركب الملك ركب معه ثلاثون ألف فارس،[4]وبهذه المدينة نهر عظيم عليه عمارات[5].

نعشور: من بلاد الصين، مدينة كبيرة، وفيها تجار كثيرون من بلدان مختلفة، وهي مكان كثير الخيرات[6].

ومن مدن الصين المشهورة أيضا **خانفو** (كانتون الآن) وهي أعظم مدن الصين وهي على نهر عظيم أعظم من دجلة والفرات، وبها أمم ل اتحصى كثيرة، ولها ملك ذو هيبة على مرابطه ما يزيد على ألف فيل وجنوده كثيرة، وهي على خور من البحر الأعظم تدخل في المراكب إلى مسيرة شهرين، وبها الأرز وقصب السكر والنارجيل[7].

بالإضافة إلى مدن أخرى في بلاد الصين، كل لها خاصيتها ومميزاتها ومن بين هذه المدن نجد: **كاجان** وهي مدينة صغيرة، فيها تجار التبت والصين ومدينة **خالبك** وهي الأخرى مدينة كبيرة

---

[1] - مجهول، مصدر سابق، ص 51 .

[2] - يوسف الشاروني، **أخبار الصين والهند لسليمان التاجر وأبي زيد حسن السيرافي القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي،** ط1، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ص64.

[3] - مجهول، مصدر سابق، ص52 .

[4] - المروزي، مصدر سابق، ص14.

[5] - الإدريسي، مصدر سابق، ص 50.

[6] - مجهول، مصدر سابق، ص 51.

[7] - المروزي، مصدر سابق، ص131.

وعامرة وذات وفيرة الخيرات وملكها من الصين، **خامجو** نصف سكانها صينيون ونصفهم تبتّيون والحرب قائمة بينهم دائما، وهم عباد أصنام، وسلطانهم يعينه خاقان التبت، **سوكجو** على حدود التبت، سلطانهم تابع لملك الصين، وفي حيلها غزال المسك، **سخجو** وهي مثل سوكجو لكن الضباب يغطيها، وملكها مقيم في سوكجو ومدينة **كجا** مدينة حدودية وهي من الصين، يغزوهم على الدوام التغزغز وينهبونهم، مدينة **كوغمر** فيها بيوت كثيرة للأصنام وهي وفيرة الخيرات قريبة من جبل فيه ميت، وأهل تلك المدينة يعبدون ذلك الميت[1].

ومدينة **خانكو** وهي مدينة عظيمة تشبه خانفو في السعة والعمارة وكثرة الخلق، وهي على خور من البحر، وبهذه البلاد حيوانات غريبة الشكل مثل الفيل والكركند والزرافة وغير ذلك من الصندل والأنيوس والكافور والخيزران والعطر وجميع **الأفاويه**[2] ما لا يوصف، والليل والنهار في هذه البلاد متكافئان[3].

4 – بحر الصين وجزره وعجائبه :

بلاد الصين وهي كثيرة، منها في البر ومنها في البحر، فأما التي في البحر من جزائر الصين فهي كثيرة، المشهور منها والمذكور ثمانية أكبرها جزيرة **الوقواق** وإنّما سميت بهذا الاسم لأن فيها أشجار كبار عاليات لها أوراق تشبه أوراق التين غير أنها أوراق كبار، تثمر هذه الشجرة في شهر آذار وهو مارس بأقطاف كأقطاف النخل فينفلق القطف فيخرج منه قدما جارية تبرز منه، فإن كان في اليوم الثاني خرجت الساقان، وفي اليوم الثالث تخرج الركبتان والفخذان، فلا تزال كذلك في كل يوم يخرج منها عضو حتى تستكمل خروجها في يوم من شهر نيسان وهو أبريل[4].

وتتصل جزيرة الواق واق بجزائر **الرانج** والمسير إليها بالنجوم، قالوا أنها ألف وسبعمائة جزيرة تملكها امرأة، قال موسى بن المبارك السيرافي دخلت عليها فرأيتها على سرير عريانة وعلى رأسها

---

[1] - مجهول، مصدر سابق، ص51.

[2] - **الأفاويه** : أفواه الطيب، نوافحه، واحدها فوه، والأفواه ما يعالج به الطيب كما أن التوابل ما تعالج به الأطعمة / ابن منظور، ج13، مصدر سابق، ص530.

[3] - المروزي، مصدر سابق، ص 131.

[4] - الزهري ، **الجغرافية**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، د.م، د.س، ص11.

تاج من ذهب وعندها أربعة آلاف وصبية أبكار، قالوا أنها سميت بهذا الاسم لأن بها شجرا يسمع من يمر بها صوته وكأنه يقول واق واق، وأهلها يفهمون من هذا الصوت شيئا فيتطيرون منه وهي جزيرة كثيرة الذهب حتى إن أهلها يتخذون منه سلاسل كلابهم وأطواق قرودهم من الذهب وبها شجر الأبنوس[1].

وفي شهر مايه يخرج رأس الشجر وتتم خلقها وتتعلق من شعرها وهي في أحسن خلقة وأبدع ما يكون من الحسن والقوام، ثم تتعلق كذلك من شعرها في شهر يونيو، فتبدأ بالسقوط من تلك الأشجار في شهر يونيو إلى نصف الشهر فلا تبقى منها واحدة إلا سقطت، فتدفن في الأرض وإن هي لم تدفن بقيت كذلك لا يستطيع أحد أن يقربها من شدة نتونتها، وهذه أعظم أعجوبة في بلاد الصين وهذه الجزيرة في آخر المعمورة، وهي في مشرق هذا الصقع.

جزيرة سكاكين:

وفي هذه الجزيرة يكون **الكركند** وهي دابة على هيئة البعير غير أنها أعظم منه مرتين في الارتفاع، ولها عنق طويل يهبط إلى الأرض تجر ذقنها عليها، ولها رأس كبير وفم عظيم ولها في رأسها قرن عظيم أسود يبلغ إلى كتفيها ولا ترفع رأسها من الأرض، وهذا الحيوان إذا كان في بطن أمه يخرج رأسه من فرجها ويرعى في الأرض ثم يعود إلى البطن أمه فلا يزال في بطن أمه حتى تضعه، وفي هذه الجزيرة تكون شجرة **البلسان** ومنها زيته وهو عجائب الدنيا وذلك أن كل زيت في الأرض إذا أخلط مع الماء عام على وجهه، وهذا إذا خلط مع الماء هبط إلى أسفله، ومن عجائب هذا الزيت إذا حميت حديدة وأدخلت في إناء الذي فيه هذا الزيت تعلق بها وخرج على إنائه، وكذلك يفعل به إذا كان ممزوجا بالماء[2].

ومن عجائب هذه الجزيرة أن بها شجر **الكافور** وهو عظيم جدا، الشجر تظل مائة إنسان وأكثر فينقر على الشجرة فيسيل ماء الكافور عدة جرار، ثم ينقر أسفل من ذلك وسط الشجرة فإذا أخذ منها ذلك يبست.

[1] - القزويني ،**عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، تح : سعد كريم الفقي، دار ابن خلدون ، د. م، د.س، ص11.

[2] - الزهري، مصدر سابق، ص 12-14 .

جزيرة رامني :

وفيها عجائب كثيرة، فيها ناس حفاة عراة رجال ونساء لا يعرف كلامهم، مساكنهم رؤوس الأشجار وعلى أبدانهم شعور تغطي سوآتهم، وهم أمة لا يحصى عددها مأكلهم ثمار الأشجار ويستوحشون من الناس، فإذا حمل أحد منهم إلى موضع الناس لا يستقر وينفر إلى الغياض[1].

ويحيط بهذه الجزيرة خمسة مئة ميل وغالب شجرها **البقم** وهو شبيه بشجر الخروب الشامي، وبها شجر الكافور والفلفل والقرنفل والدرا صني وبها الينعات الحمر والخضر والبيض، العنبر والببغا طائر هندي حبشي[2].

جزيرة كله :

يقال لها المنصف وهي بين أرض الصين والعرب، لكنها مجتمع الأمتعة والتجار من الصين والمسلمين، يجلب منها أصناف الطيب كله والرصاص القلعي والأبنوس والبقم وغير ذلك[3]، وهذه الجزيرة خطرة طولها ثمانمائة ميل وعرضها ثلاثمائة وخمسون ميل وبها من المدن فتصور وهلابر، ولاوري وكلاو، وبها الفيلة منقولة من البر المتصل تتوالد وتتربى عند ملوكها، والفيل ضربان فيل زند والزند صغير والفيل كبير.

جزيرة زابلي :

وجزائرها المتقاربة ويقال أنها نحو تسع مئة جزيرة صغار وكبار وهي أم الجزائر ومعدن الذهب بكثرة ظاهرة، ومع كثرة الذهب عندهم فإن بيوت أموالهم الودع المعروفة والحديد والذهب عندهم في القيمة سواء[4].

---

[1] - القزويني، مصدر سابق، ص 130.
[2] - شيخ الربوة، مصدر سابق، ص153.
[3] - البكري ، **المسالك والممالك**، تح : جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ- 2002م، ج1، ص 258.
[4] - شيخ الربوة، مصدر سابق، 223.

جزيرة النساء :

وفي تخوم بحر الصين جزيرة النساء لا يسكنها إلا النساء وهن يلقحن من الريح ويلدن النساء وقيل هن يلقحن من الشجر ويأكلن منه[1]، ويذكر أن الذهب عندهن عروق مثل الخيزران، وأنه وقع إليهن رجل فهممن لقتله فرحمته امرأة منهن وحملته على خشبة في البحر فأدارته الأمواج حتى أتت به بعض بلاد الصين، فوصل إلى ملك الصين وعرّفه حال الجزيرة، فجهز إليها المراكب، فأقاموا يطوفون في البحر ثلاثة أعوام يطلبونها فلم يقفوا لها على أثر[2].

وأما تفاصيل أحوال بحر الصين وتحديده فإنه مجهول لنا، ولم نقف فيه على تفصيل محقق والذي ثبت في الكتب أن أطراف بلاد الصين الشرقية الجنوبية تتصل بخط الاستواء حيث لا يكون عرض، ومن هناك يخرج بحر الصين، فيأخذ في الغرب ولايزال يغرب حت يسامت جبال قامرون وهي حاجز بين الصين والهند، وهي معدن العود، وهي حيث الطول مئة وخمس وعشرون والعرض عشر درج[3].

وبحر الصين متصل بالبحر المحيط حده من الشرق إلى بحر القلزم ومنه إلى المغرب وليس على الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط ويقال له بحر الهركند وهو كثير الموج عظيم الاضطراب بعيد العمق، وفيه مالا يحصى من الجزائر وفيه مغاص الدر في الماء العذب يقع فيه الحب الجيد وفي بعض جزائره ينبت الذهب وفيه الحيوانات العجيبة الأشكال[4].

وعندما تدخل الشمس برج الجبار، يهتاج البحر من عصف الرياح الشديدة، وتطرح بالمراكب نحو البحر، فيهلك الركاب وقد هلكت على هذه الشاكلة مراكب لاحصر لها، ويدبر سكان هذه البلاد حيلة يتخلصون بها إذا اهتاج البحر في أثناء سفرهم، وحكاية هذه الحيلة أنهم يحملون معهم

[1] - البكري، مصدر سابق، ص370.

[2] - الحميري، مصدر سابق، ص370.

[3] - ابن سباهي زادة، مصدر سابق، ص37.

[4] - القزويني، مصدر سابق، ص128.

جربانا من جلود البقر، فإذا عصفت الرياح وأنذرتهم بقرب الهلاك دخلوا هذه الجربان ومعهم سكين ماضية، وربطوها من الداخل ربطا محكما لكي لا يتسرب الماء إليها، ورموا بأنفسهم[1].

كما يسمى بحر الصين بأسماء عديدة، بحر الصين وبحر الهند صنجي، وهو متصل بالمحيط من المشرق، وليس على وجه الأرض بحر أكبر منه إلا المحيط، فيه المد والجزر كما في بحر فارس ويستدل على هيجان هذا البحر بأن يطفو السمك على وجهه قبل هيجانه بيوم واحد ويستدل على سكونه ببيض طائر معروف يبيض على وجه الماء، وهو طائر لا يأوي الأرض أبدا ولا يعرف إلا لجة البحر، في هذا البحر مغاص اللؤلؤ يطلع منه الحب الجيد الذي لا قيمة له، وفي هذا البحر من الجزائر ملا يعلمه إلا الله عددا إلا أن بعضها مشهور يصل إليه الناس ،وقيل أن فيه اثنى عشرة ألف جزيرة عامرة مسكونة وبها عدة ملوك، وفي بعض جزائره ينبت الذهب ويكثر في بعض الشين ويقل في بعضها الآخر كالنبات[2].

وهو بحر خبيث بارد، ريحه من قعره تغلي كغليان الماء جاحم النار، ويخبر الثقات من ركابه أنه بحر مسكون له أهل بطن الماء، وأنهم يرونهم إذا هاج البحر ليلا كهيئة الزنج، ويطلعون المراكب[3].

وفي بحر الصين حيوانات عجيبة، ومنها إذا كثرت أمواج هذا البحر ظهرت فيه أشخاص سود طوال الواحد منهم أربعة أشبار كأنهم أولاد الحبشة فيصعدون المراكب من غير ضرر، ومنه ما حكى التجار أنهم يرون في هذا البحر شبيه طائر من نور لا يستطيع الناظر أن ينظر إليه لأنه ملأ بصره، فإن ارتفع على أعلى الرقل يرون البحر يسكن والأمواج تهدأ أو يكون ذلك دليل السلامة ثم إنه يفقد فلا يدرون كيف ذهب، ومنها طائر يسمى خرشة أكبر من الحمام، وإذا طار

---

[1] - بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين التطيلي (561-569هـ / 1165م -1173م)**، تر :عزرا حداد، ط$_1$، المجمع الثقافي، الإمارات، 1423هـ -2002م، ص344 .

[2] - ابن الوردي، مصدر سابق، ص 197.

[3] - الحميري، مصدر سابق، ص370.

هذا الطائر يأتيه طائر آخر يقال له كركر يطير تحته ويتوقع وقوع ذرقه فإن غدا كركر تحته ذرق خرشة عليه وإنه لا يذرق إلا في طيرانه[1].

وفي هذا البحر سمكة مثل الخرافة يرمي بها الموج إلى الساحل، فإذا جزر الماء بقيت على الطين، وفيه سمكة تلتقم الناس وربما مات الرجل من ركاب البحر فيرمى به في البحر فلا يخطئ فاهه السمكة، كأنها كانت له رصدا[2].

ومنها سمكة تزيد على ثلثمائة ذراع يخاف على السفينة منها وتوجد عند جزيرة واق واق فإذا عرف القوم مرورها صاحوا وضربوا بالخشب لتهرب من أصواتهم، فإذا رفعت جناحها يكون كالشراع، ومنها دابة تستوطن شيئا من الجزائر لها رؤوس كثيرة ووجوه مختلفة وأنياب مقعقعة ولها جناحان تأكل دواب البحر [3].

وفي بحر الصين دابة لها جناحان تنشرهما في الجو تحمل على المراكب فتقلبها، يكون طول الدابة مائة ذراع ونحوها، وقد قيض الله سبحانه وتعالى لهذه الدابة سمكة صغيرة إذا رأتها هذه الدابة الكبيرة نفرت منها، فمرت على وجهها فلا يستقر بها مكان من البحر مادامت السمكة تتبعها[4].

أسهب الرحالة والجغرافيون في وصف بلاد الصين، حيث تطرقوا لأدق التفاصيل لما تحتويه هذه البلاد من عجائب وغرائب التي يمكن تصديق بعضها والشك في صحة بعضها الآخر، هذا وقد اتفقوا في أكثر الأشياء واختلفوا في بعض الأمور مما أوردوه عن الصين، من أمثال ابن خرداذبة الذي يتفق مع سليمان التاجر في غالبية المعلومات ويختلفان في شيء قليل، وسبب الاختلاف عائد إلى أن معلومات ابن خرداذبة لم تكن مبنية على التجارب والمشاهدات، بخلاف ما قاله سليمان لأنه قد سافر إليها مرارا فشاهد أحوالها بعينيه [5].

---

[1] - القزويني، مصدر سابق، ص132 .

[2] - الحميري، مصدر سابق، ص 370.

[3] - القزويني، مصدر سابق، ص 132.

[4] - الحميري، مصدر سابق، ص 371.

[5] - بدر الدين حي الصيني، العلاقات بين العرب والصين، ط1، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1370-1950م، ص47.

أصبحت كتب العجائب والغرائب لا تخلو من الخرافات المنقولة من أفواه البحارة، وبعضها وضعها المؤلفون زيادة ورغبة منهم في جذب العامة لمطالعة كتبهم، إذ كثير ما بالغ أصحاب تلك الكتب عن مشاهداتهم للجزر الحقيقية، بل وضعوا بجانبها جزائر وهمية، أو أن حقيقة وجود بعضها لم تلاحظ الحياة عليها بصورة دقيقة، فكثرت الأخبار المنسوجة فيها الأساطير والخرافات بصورة مسرفة، فمن تلك الخرافات التي احتوتها كتب العجائب "جزر الوقواق في بحر الصين...قالوا أنها ألف وستمائة جزيرة، وإنما سميت بهذا الاسم لأن بها شجرة يسمع من يمر بها صوته كأنه يقول واق واق"، فجهل المكان وبعده عن الرحالة والمتلقي معا جعله مسرحا لعرض العجيب والغريب إذ "يظهر أن ملاحي العرب نزلوا اليابان وهم يسمونها جزر الواق واق، وما قصوه عنها يدل على أنهم لم يعرفوها معرفة صحيحة، ويغلب على ما حكوه الأسطورة والخرافة، بل إنه ليتحول إلى خرافة خالصة [1].

والمفروض أن كتب القزويني وسليمان التاجر وغيرها تقرر وقائع، لا أن تجمع خرافات، ولكن بعض الحوادث أو الوقائع التي تذكرها تلك الكتب صعبة التصديق إلى حد يبعث على الحذر في الحكم عليها، وهذا الحذر يجب أن يكون ذا حدين؛ فمن أسهل الأمور أن يهمل مالا يصدق، ويطح جانبا على أنه خرافة أو مغالاة، كما أن من أسهل الأمور على العوام حينما يسمعون بتلك الوقائع أن يصدقوها وأن يعملوا على إذاعتها، إلا أنه إذا اتجه نحو هذا الاتجاه أخطأوا فهم الكثير مما توارد على ألسنة الرحالة والجغرافيين ومؤلفي كتب العجائب من العرب وغيرهم [2].

---

[1] - عقيل عبد الله ياسين وسلام ناصر والي، **البواعث الثقافية في كتابة الأساطير والخرافات عند الرحالة العرب والمسلمين المشارقة(132-656 هـ/750-1258م)**، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، جامعة واسط، العدد2017،[27]م، ص111.

[2] - حسين فوزي، **حديث السندباد القديم**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1943م، ص59.

المبحث الثاني: الحياة السياسية في بلاد الصين.

أولا: الوضع السياسي في بلاد الصين :

1 – الإدارة :

يقال إن لملك الصين من أمهات المدائن أكثر من مائة مدينة، ولكل مدينة ملك وخصي، وتحت كل مدينة مدائن، ولكل مدينة أربعة أبواب فعلى كل باب منها من الجادم خمسة بوق تنفخ في أوقات من الليل والنهار، وعلى كل مدينة عشرة طبول تضرب معه وإنما يفعل لتعلم طاعتهم للملك وبه يعرفون أوقات الليل والنهار ولهم علامات وزن للساعات[1].

والملك في حصن له متمرد وصاحب شرطته خادم، وصاحب خراجه خادم، وصاحب حرسه خادم، وصاحب أخباره خادم، وأكثر أعوانه الخدم[2]، ومن سنتهم أن تقسم المدينة قسمين، فيكون الملك وأهل بيته وعماله وحشمه في القسم الواحد، والعامة والرعية وأسواقهم في النصف الآخر لا يدخل أحد منهم إلى ناحية الملك[3].

وقد كان الصينيون يسمون ملكهم بملك الناس وذلك لأن أهل الصين أطوع الناس للمملكة وأشدهم انقيادا للسياسة[4]، ومن سنتهم أيضا أن من خرج منها إلى سفر يكتبون اسمه ومن معه من الأموال والرقيق، ثم إذا بلغ كل مسلحة يقرأ المكتوب وصاحب المسلحة يكتب إلى الخصي الذي هو أمين الملك – مر بنا فلان يوم كذا مع ماله ورقيقه سالما – وإنما يفعلون ذلك صيانة لأموال الناس، ومن خرج منهم بغير إذن الملك ثم ظهر عليه أخذ وحبس وغرّم[5].

---

[1] - سليمان التاجر، **عجائب الدنيا وقياس البلدان**، تح : سيف شاهين المريخي، ط$_1$، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، 1426 هـ - 2005 م، ص 49 .

[2] - اليعقوبي، مصدر سابق، ص 208 .

[3] - المسعودي، مصدر سابق، ص 95 .

[4] - صاعد الأندلسي، مصدر سابق، ص 11 .

[5] - المروزي، مصدر سابق، ص 15 .

ولملك الصين أربعمائة ألف مرتزق، وهو لا يكاد يبدو لأحد، ولا يصل إليه أحد إلا وزيره أو حاجبه أو رسول ملك يرد عليه، ووجوه عسكره ورؤساء أصحابه يصلون إليه في كل أسبوع، وإذا أراد الملك أن يركب ضرب بجرس فيدخل الناس منازلهم ويخلون الطرقات[1].

ذكر **ابن بطوطة**[2] أن القان عندهم سمة لكل من يلي ملك الأقطار، وليس للكفار على وجه الأرض مملكة أعظم من مملكته، وقصره في وسط المدينة المختصة بسكناه، وأكثر عمارته بالخشب المنقوش، وله ترتيب عجيب، وعليه سبعة أبواب، فالباب الأول منها يجلس به الكتوال، وهو أير البوابين، وله مصاطب مرتفعة عن يمين الباب ويساره فيها المماليك البرد دارية، وهم حفاظ باب القصر، والثاني يجلس عليه الاصباهية وهم الرماة، والثالث يجلس عليه النزدارية وهم أصحاب الرماح، والرابع يجلس عليه التغدارية وهم أصحاب السيوف والترسة، والخامس فيه الوزارة، والسادس يجلس عليه الجندارية وأميرهم الأعظم، والسابع يجلس عليه الفتيان(حبشان، هنود وصينيون).

واسم ملوكهم على قدر الجاه وكبر المدائن في المدينة الصغيرة يسمى ملكها **طوسنج** ومعناه أقام المدينة، وليس يملك أحد منهم لأقل من أربعين سنة، إذا قعد أحدهم يقعد في مدينة على كرسي في بهو عظيم وبين يده كرسي، وترفع إليه الكتب التي فيها أحكام الناس من وراء الملك قايم يدعى ليخوا، والملك الأكبر فلا يرى إلا مرة في كل عشرة أشهر: قول إذا رآني الناس استخفوا بي، الرياسات لا تقام إلا بالتجبر، وذلك أن العامة لا تعرف العمل فينبغي أن يستعمل معهم التجبر لتعظم عندهم[3].

وقد ذكر **الإصطخري**[4] أن كل أرض الصين منسوبة إلى صاحب الصين المقيم بخمدان .

---

[1] - الحميري، مصدر سابق، ص 371 .

[2] - مصدر سابق، ص 656 .

[3] - سليمان التاجر، مصدر سابق، ص 59،60 .

[4] - مصدر سابق، ص 09 .

وفي ملوكها العدل وهي سنتهم وعليه يعولون، وبذلك حسنت بلادهم، وقل جزعهم وعظم أمنهم، واتسعت أيديهم في الأموال، وكانوا إذا ورد على ملكهم رسول من بعض الملوك أدخل عليه في الوقت الذي يأذن له، فيقف أحد وزرائه عن يمينه والآخر عن يساره ويقف الرسول بالبعد منه على حسب مرتبة مرسله، ولا يرفع رأسه حتى يأمر بذلك، ثم يتقدم إليه فيأمر الملك له بتخت ديباج وجام فضة مذهبة ويعاد به كل يوم إلى دار الملك ليتغدى هناك[1].

وبلد الصين آمن وأحسن حال للمسافرين، فإن الإنسان يسافر متفردا مسيرة تسعة شهور فتكون معه أمواله الطائلة لا يخاف عليها[2].

2) القضاء :

ليس يكتب للملك إلا كاتب يعرف الحكم، وإذا وقع خطئ في الكتاب يرجع اللوم على الكاتب فيضرب بالخشب، ولا يقعد الملك للحكم حتى يأكل ويشرب لئلا يخطئ[3].

وأكثر عقوباتهم القتل فهم يقتلون على الكذب وعلى السرقة ويقتلون على الزنا إلا قوما معروفين ومن تظلم عاملا من العمال فصحت مظلمته قتل ذلك العامل وإلا قتل المتظلم منه إذا كان كاذبا[4]، وإذا تظلم أحدهم إلى الملك من بعض عماله كشف عن أمره، فإن كان صادقا أنصفه وعاتب ظالمه وإن كان كاذبا ضرب بالخشبة ضربا شديدا لافترائه على عمال الملك بالكذب[5].

وإذا أفلس رجل بمال قوم حبسه الغرماء بأموالهم عند السلطان لحد إقراره، فإن لبث في السجن شهرا أخرجه السلطان فنادى عليه إن هذا فلان بن فلان أفلس بمال فلان بن فلان فإن لم يكن عند أحد وديعة أو كان له عقار أو رقيق أو ما يحيط بدينه أخرج في كل شهر فضرب خشبات على أسته لأنه أقام في السجن يأكل ويشرب وله مال، فهو يضرب أقر له أحد بمال أم لم يقر له فهو

[1] - الحميري، مصدر سابق، ص 372 .
[2] - ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 644 .
[3] - سليمان التاجر، مصدر سابق، ص 51 .
[4] - اليعقوبي، مصدر سابق، ص 208 .
[5] - المسعودي، مصدر سابق، ص 95 .

يضرب على كل حال، وربما جار الملك الذي من تحت يد الملك الأكبر فيذبحونه ويأكلونه ، وكل من قتل السيف أكل الصينيون لحمه[1].

ومن عجيب تدبيرهم في قديم الأيام دون هذا الوقت أمر الأحكام وجلالها في صدورهم واختيارهم لها من لا يخالج قلوبهم الشك في علمه بشرايعهم وصدق لهجتهم وقيامه بالحق في كل أحواله وتجنبه الإغماض عمن جل مقداره حتى يقع الحق موقعه، ويكون عفيفا عن أموال أهل الضعف وما جرى على يده [2].

3) ملوك الصين :

ومنهم **عوون** الذي شيد البنيان وعمل الصنعة واتخذ الهياكل المذهبة وعمل فيها صورة أبيه وجعلها في صدر الهيكل، فكان إذا دخل سجد لتلك الصورة تعظيما لصورة أبيه[3]، وجعل جسد أبيه في تمثال من الذهب الأحمر جزعا عليه، وأجلسه على سرير من الذهب الأحمر مرصع بالجواهر وجعل مجلسه دونه، وأقبل يسجد لأبيه وهو في جوف تلك الصورة هو وأهل مملكته، في طرفي النهار إجلالا له[4].

ومنهم **عير** الذي ساد في بلاد الصين طولا وعرضا وبنى المدن العظام وشيد القباب من الجزلان والنحاس المذهب، وعمل صورة أبيه من ذهب مكلل بالجوهر والرصاص والنحاس المزوق، فاتخذها أهل مملكته جميعا في مدنهم وبلدانهم وقالوا ينبغي للرعية أن تعمل صورة الملك قد ملكها من السماء وعدل فيها ووصل ملك عير مائة وثلثين سنة[5].

وملك **عيثدون،** جعل جسد أبيه مخزونا في تمثال من الذهب الأحمر، وجعله دون مرتبة جده على سرير من الذهب ورصعه بأنواع الجواهر، وكان يسجد له، ويبدأ بجده الأول ثم أبيه، وأهل

[1] - سليمان التاجر، مصدر سابق، ص 53،54 .

[2] - يوسف الشاروني، مرجع سابق، ص80.

[3] - اليعقوبي، مصدر سابق، ص205.

[4] - المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ - 2005م، ج1، ص 104.

[5] - اليعقوبي، مصدر سابق، ص205.

مملكته يسجدون له، وأحسن السياسة للرعية، وسواهم في جميع أمورهم وشملهم بالعدل، فكثر النسل وأخصبت الأرض، فكان ملكه إلى أن هلك نحو مائتي سنة[1].

ومنهم ملك **عينان،** الذي سلم أهل مملكته سوء العذاب ونفاهم إلى جزائر البحر، فكانوا كذلك حتى آنسو بالوحوش وآنست بهم وكانوا ينزون عليها وربما نزت تلك على نسائهم فيأتي بينهم الخلق المشوهة، وباد القرن الأول وأتى قرن بعد قرن قد ذهبت عنهم لغاتهم وصاروا يتكلمون ملا يفهم، وكان ملكه مائة سنة[2].

وملك **عيثنان** جعل أباه في تمثال من الذهب الأحمر وحرى فيه على ما سلف من أفعالهم من السجود والتعظيم، وطال ملكه واتصلت بلاده ببلاد الترك، فعاش أربعمائة سنة واتخذ في أيامه كثيرا مما لطف في الدور من الصنائع[3].

ومنهم **خرابات** الذي ملك وهو حديث السن ثم احتنكت سنة، فعلا أمره، وحسن تدبيره ووجه بوفد من قبله إلى أرض بابل وما اتصل بها من بلاد الروم يتعرفون ما فيها من الحكمة والصنعة وحمل معهم من صنعة الصين وما يعمل بها من ثياب الحرير وغيره وما يؤتى به من تلك البلدان من الآلات وغيرها، وأمرهم أن يحملوا إليه كل صنعة وظريفة من أرض بابل وبلاد الروم[4]، وأحدث الفلك وحمل فيها الرجال، وأهدى الهدايا العجيبة والرغائب النفيسة إلى الملوك، كما أمرهم أن يعرفوا سياسة كل ملك وكل أمة وشريعتها ونهجها الذي هي عليه، وأن يرغبوا الناس فيما في بلدانهم من الجواهر والطيب والآلات، فتفرقت المراكب في البلاد واستقامت له الأمور، فكان عمره نحو من مئتي سنة، فهلك، فجزع عليه أهل مملكته وأقاموا النياحة عليه شهرا[5].

ومنهم **توتال** وأهل الصين يقولون أنهم وجدوا مكتوبا على أبواب مدنهم أنه لم يملكهم ملك قط مثله ورضوا به ورضا لهم ولم يرضوا بمثله أحد قط وهو الذي سن لهم كل سنة هم عليها في

[1] - المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ص104.
[2] - اليعقوبي، مصدر سابق، ص206.
[3] - المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ص105.
[4] - اليعقوبي، مصدر سابق، ص206.
[5] - المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ص105.

ديانتهم وأفعالهم وصناعتهم وشرائعهم وأحكامهم وكان ملكه ثمان وسبعون سنة، فلما مات أقاموا عليه زمانا طويلا ويحملونه على أسرة الذهب وعجل الفضة ثم جمعوا له العود والعنبر والصندل وسائر الطيب وألهبوه بالنار وطرحوه فيها وجعل خاصته يلقون أنفسهم في تلك النار أسفا عليه ووفاء له، وصار هذا سنة فيهم[1].

وقد أحدث من السنن المحمودة مالم يحدثه أحد من ملوكهم، وزعم أن الملك لا يثبت إلا بالعدل فإن العدل ميزان الرب، واستقامت أيامه وأحكم لهم جميع الأمور، وكثر النسل، فكانت حياته نحو من مائة وخمسين سنة، فلم تزل الملوك ممن طرأ بعد هذا الملك أمورهم منتظمة وأحوالهم مستقيمة والخصب والعدل لهم شامل والجور في بلادهم معدوم[2].

---

[1] - اليعقوبي، مصدر سابق، ص 207.

[2] - المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ص 106.

المبحث الثالث : الأنشطة الاقتصادية في بلاد الصين

1-النشاط التجاري :

إن أكثر السفن الصينية تحمل من سيراف[1]، وأن المتاع تحمل من البصرة وعمان وغيرها إلى سيراف فيعبى في السفن الصينية بسيراف وذلك لكثرة الأمواج في هذا البحر وقلة الماء في مواضع منه، فإذا عبئ المتاع بسيراف استعذبوا منها الماء وخطفوا وهذه لقطة يستعملها أهل البحر يعني يقلعون[2].

والذي يجيء في هذا البحر من الصين، الحرير والمسك والعود والسروج والسمور والخضار والصيلينج والدرا صيني والخولجان، ومن الواقواق الذهب والأبنوس، ومن الهند الأعواد والصندل والكافور والماكلفور والقرنفل والكبابة والنارجيل، ومن سرنديب الياقوت ألوانه كلها والماس والدر والبلوري، ومن السند القسط والخيزران، ومن اليمن الوشي وسائر ثيابهم والعبنر والبغال والحمير[3].

وذكر **المروزي**[4] أيضا أن من أهل الأسواق قوم يطوف في البلد يبيعون الأمتعة والفواكه وغير ذلك وقد اتخذ كل واحد لنفسه عجلة يجلس فيها ويضع فيها أقمشة وأمتعة وما يحتاج إليه في البيع والشراء والعجلة تجري من ذاتها من غير دابة وهو جالس عليها يحبسها إذا شاء ويرسلها إذا شاء، والجلابون الذين يجلبون الأمتعة إلى الصين لا يمكّنون من دخول البلد ويكون أكثر متاجرهم مغايبة، وملك الصين يكرم التجار ولا يظلم على أحد ممن يرد ناحيته.

وأهل الصين لا يتبايعون بالدينار ولا الدرهم جميع ما يتحصل ببلادهم من ذلك يسبكونه قطعا وإنما بيعهم وشراؤهم بقطع كاغد كل قطعة منها بقدر الكف مطبوعة بطابع السلطان وتسمى خمسة

---

[1] - **سيراف** : مدينة جليلة على ساحل بحر فارس كانت قديما فرضة الهند / ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج[3]، مصدر سابق ص 335.

[2] - سليمان التاجر، مرجع سابق، ص 35.

[3] - ابن خرداذبة، مصدر سابق، ص 70.

[4] - مصدر سابق، ص5.

وعشرون منها **بَالْشت** وهو بمعنى الدينار عندنا، وإذا أمضى الإنسان إلى السوق بدرهم فضة أو دينار يريد شراء شيء لم يؤخذ منه[1].

ومعاملتهم بالفلوس وخزائنهم كخزائن الملوك وليس لأحد من الملوك فلوس سواهم وهي عين البلاد، لهم الذهب والفضة واللؤلؤ والديباج والحرير كل ذلك كثير عندهم، تحمل إليهم العاج واللبان وسبائك النحاس والذبل من البحر وهي جلود ظهور السلاحف، وإذا دخل البحريون من البحر قبض الصينيون متاعهم وصيروه في البيوت وضمنوا الدرك إلى ستة أشهر إلى أن يدخل آخر البحريين، ثم يؤخر من كل عشرة ثلاثة وسلم الباقي إلى التجار[2].

وخراجهم من رؤوس الرجال يوجبون على كل رجل بالغ جزية لأنهم لا يدعون رجلا بغير صناعة فإذا تعطل عن العمل بعلة أو هرم اتفقوا عليه من مال الملك[3]، وفي مرفأ مدينة خانفو يقع على أحد جانبيه أسواق التجار الغرباء وعلى جانبه الآخر أسواق أهل المدينة، وأكثر من يقصدهم من التجار الفرس والعرب ومن سنتهم أن لا يترك أحد يتربص بالحنطة والحطب والملح والحديد بل يكون مطروحا في أسواقهم حتى يشتري منها بقدر الحاجة وحوالي خمدان بحور فيها جزائر ومدن يؤدون الخراج وجميع أهل الصين عليهم جزية إلا النساء والصبيان[4] .

وأهل الصين ينصفون في المعاملات والديون، فإذا كان للرجل على رجل دين كتب عليه كتابا وكتب الذي عليه الدين أيضا كتابا وعلمه بعلامة بين أصبعه الوسطى والسبابة، وليس لهم خراج في صناعتهم وإنما يؤخذ على الرؤوس على قدر أموالهم وصناعهم[5].

وقد تركزت تجارة المحيطات والسواحل في الموانيء الكبيرة مثل: كانتون، حيث لم تقتصر الصادرات الصينية في ذلك الوقت على الحرير فحسب بل والخزف الصيني أيضا، والذي كان

---

[1] - ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 641.
[2] - سليمان التاجر، مصدر سابق، ص 49.
[3] - اليعقوبي، مصدر سابق، ص 208.
[4] - المروزي، مصدر سابق، ص10.
[5] - سليمان التاجر، مصدر سابق، ص53.

يذهب بكميات كبيرة إلى الشرق الأوسط، واستقرت المجتمعات التجارية الأجنبية في الموانىء وشملت الفرس والعرب الذين سيطروا على التجارة عبر البحار الغربية[1].

2 – النشاط الصناعي :

وطرائف الصين كثيرة: الفرند الفائق والحديد المصنوع الذي يقال له طاليقون يشترى بأضعافه فضة ومناديل الغمر من جلد السمندل، والطواويس العجيبة، والبرادين القّه التي لا نظير لها في البلاد[2].

وأهل الصين فمن أحذق خلق الله كفا وصنعة وكل عمل لا يتقدمهم فيه أحد من سائر الأمم والرجل منهم يصنع بيده ما يقدر أن غيره يعجز عنه، فيقصد به باب الملك يلمس الجزء على لطيف ما أبدع، فيأمر الملك بنصبه على بابه من وقته ذلك إلى سنة، فإن لم يخرج أحد فيه عيبا أجاز صانعه وأدخله في جملة صناعه، وإن أخرج أحد فيه عيبا طرحه ولم يخرجه[3].

وهم مختصون في صناعة اليد، والحذق في عمل الطرف، ولهم الإغراب في خرط التماثيل، والإبداع في عمل النقوش والتصاوير حتى إن مصورهم يصور الإنسان ولا يغادر منه شيئا ثم لا يرض بذلك حتى يصوره ضاحكا أو باكيا، ثم لا يرض بذلك حتى يفصل بين الضحك الشامت وضحك الخجل والمبتسم والمستغرب وبين ضحك المسرور وضحك الهازئ فيركب صورة في صورة، ولهم العصائر المستشفة يطبخ فيها الطبيخ فتكون الواحدة قدرا مرة وقصعة أخرى[4].

ورد عند **ابن بطوطة**[5] أنه قال: لما دخلت مدينة السلطان فمررت على سوق النقاشين، ووصلت إلى قصره مع أصحابي، ونحن على زي العراقيين، فلما عدت من القصر عشيا، مررت

---

[1] - هيلدا هوخاهم، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، تر: أشرف محمد كيلاني، ط$_1$، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة،2002 م، ص197.

[2] - ابن الفقيه ، **البلدان**، تح: يوسف الهادي، ط$_1$، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ - 1996م، ص 70.

[3] - المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ص 113.

[4] - الثعالبي ، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تح : محمد أبو الفضل ابراهيم، ط$_1$، المكتبة العصرية، بيروت، 1424هـ - 2003م ،ص437.

[5] - مصدر سابق، ص643.

بالسوق المذكورة، فرأيت صورتي وصور أصحابي منقوشة في كاغد قد ألصقوه بالحائط، فجعل الواحد منا ينظر إلى صورة صاحبه لا تخطىء شيئا من شبهه.

وحظهم من المعرفة التي يدور فيها مناجد الأمم بإتقان الصنائع العملية وأحكام المهن التصورية، فهم أصبر الناس على مطاولة التعب في تجويد الأعمال ومقاساة النَّصَب في تحسين الصنائع[1].

وبأرض الصين الذهب الكثير والجواهر واليواقيت في جبل من جبالها، وهم لا يستحسنون شيئا من صناعات غيرهم، وإذا أراد شيئا من المتاع، يعرضه على أرباب الخبرة ولا يتركه في خزائنه إلا إذا وافقوا على جودته[2].

والملك وكّل بالصناع ليرفع إلى الملك جميع المعمول، فيما أراد من ذلك اشتراه لخزانته وإلا يباع في السوق وما فيه عيب يمزقه، وحكى أنه ارتفع ثوب إلى الملك فاستحسنه المشايخ كلهم إلا واحد، فسئل عن عيبه فقال : إن هذا الثوب عليه صورة الطاووس وقد حمل قنو موز والطاووس لا يقدر على حمل قنو الموز، فلو بعث الملك هذا الثوب هدية إلى بعض الملوك يقولون : أهل الصين ما يعرفون الطاووس لا يقدر على قنو الموز[3].

وفي حديث آخر أن رجل صور سنبلة سقط عليها عصفور في ثوب حرير، لا يشك الناظر إليها أنها سنبلة سقط عليها عصفور، فبقي الثوب مدة، وأنه اجتاز رجل أحدب، فعاب العمل، فأدخل إلى الملك وأحضر صاحب العمل، فسأل الأحدب عن العيب، فقال: المتعارف عند الناس جميعا أنه لا يقع العصفور على سنبلة إلا أمالها، وصور هذا المصور السنبلة فنصبها قائمة لا

---

[1] ـ صاعد الأندلسي، مصدر سابق، ص 8.

[2] ـ القزويني، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر ، بيروت، د.س، ص 54.

[3] ـ ابن الفقيه، مصدر سابق، ص 70.

ميل فيها، وأثبت العصفور فوقها منتصب، فأخطأ، فصدق الأحدب ولم يثبت صاحبها بشيء[1]، وصدقه الحاضرون وتعجبوا من دقة نظره[2].

وإذا حضر أحد للملك وعده بالمال والرزق والصلاة، وأمره أن يصنع تمثالا مما يعلمه من النقش والتصوير، فإذا فعل وأحضره علق ذلك الصنع والتمثال بباب القصر الملك، وتركه سنة كاملة والناس يهرعون إليه في تلك المدة، فإذا مضت السنة ولم يظهر أحد من الناس على عيب به خلل في صنعه أحضر ذلك الصانع وخلع عليه وجعله من الخواص الصناع في دار الصناعة[3].

وبرعوا في صناعة الفخار الصيني وهو من تراب جبال هناك، تقد فيه النار كالفحم يضيفون إليه الحجارة عندهم يوقدون النار ثلاثة أيام ثم يصبون الماء عليها فيعود الجميع ترابا ثم يخمدونه فالجيد منه حمر شهرا كاملا وهو هناك بقيمة الفخار في بلادنا أو أرخص ثمنا يحمل إلى الهند وسائر الأقاليم حتى يصل إلى بلاد المغرب وهو أبدع أنواع الفخار[4].

وأشرف حليهم من قرون الكركند، وهو الموشان، لأنها إذا استوت ظهر فيها صور عجيبة مختلفة فيتخذون منها مناطق تبلغ المنطقة أربعة آلاف مثقال من الذهب، والذهب عندهم كثير حتى يتخذون منه لجم دوابهم وسلاسل كلابهم[5].

وحكى عن أهل الصين من الحذق في صناعة أشياء عجيبة منها أنه قال أن للملك في كل مدة ذكرها يوما يأذن للخاص والعام فيه ويجلس للمظالم وبين يدي مجلسه ميدان كبير فسيح فيوضع على باب الميدان قطعة خشب كبيرة ويوضع عليها قدوم، فأول من يدخل يأخذ القدوم ويضرب به ضربة واحدة على الخشبة ثم الذي يليه يضرب ضربة وكذلك يفعل كل من يدخل فإذا كان آخر

---

1 - المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ص 113.
2 - القزويني، **آثار البلاد**، مصدر سابق، ص 54.
3 - ابن الوردي، مصدر سابق، ص129.
4 - ابن بطوطة، مصدر سابق، ص640.
5 - المسعودي، **أخبار الزمان**، مصدر سابق، ص 95.

المجلس حصل على الخشبة تمثال كامل إمّا فرس وإمّا أسد وإمّا إنسان وغيره ولم يضرب أحد ممن دخل إلا ضربة واحدة فالتالي له يعرف أنه لأي تمثال قصد حين بدأه[1].

كما برعو في صناعة النسيج وكل ما تعلق به، وبرعوا أيضا في صناعة السفن حتى أنه كان لديهم بيوت وقصور يتخذونها على الخشب على مراكب تعوم على وجه الماء وهم ينقلونها حيث أرادوا، وبحر الصين ممتلئ بالمراكب السفرية صغار كانت أو كبارا فإنها منشأة من الخشب المحكم[2].

وذكر **ابن بطوطة**[3] أن مراكب الصين ثلاثة أصناف: الكبار منها تسمى الجُنوك واحدها جنك، والمتوسطة اسمها الزَّوَ، والصغار اسم أحدها الكَكَم، ويكون في المركب الكبير منها اثنا عشر قلعا فما دونها إلى ثلاثة، وقلعها من قضبان الخيزران منسوجة كالحصر لا تحط أبدا، ويديرونها بحسب دوران الرياح.

لقد ورد لدى الرحالة والجغرافيون تفصيلا دقيقا لطرق التجارة وأهم المنتوجات والصناعات التي يجيدها أهل الصين، والنشاط التجاري داخل وخارج الصين.

ولقد اتفق معظم الرحالة والجغرافيون في أن للتجار المسلمين حرية مطلقة في الانتقال بين بلدة وأخرى في داخل بلاد الصين، كما لهم حرية في الإقامة بأي مرفأ من المرافىء، وكانت الحكومة الصينية قد وضعت قانونا خاصا يقضي بتسجيل المسافرين في داخل حدود الصين وما معهم من الأمتعة والأموال، وقانونا آخر يقصد به مراقبة الفنادق بجميع المدن، فكانت حكومة الصين ساهرة على حفظ أموال الأجانب وحياتهم[4].

---

[1] - المروزي، مصدر سابق، ص 14.

[2] - الإدريسي، مصدر سابق، ص92.

[3] - مصدر سابق، ص576.

[4] - بدر الدين حي الصيني، مرجع سابق، ص137.

3 – النشاط الزراعي :

ليس للصين نخل، ولهم سائر الثمر والشجر، ولهم العنب والرمان وسائر الفواكه[1]، وبها من أصناف الطيب كله والرصاص القلعي والأبنوس والبقم وغير ذلك من الثمار[2]، ويوجد بها أرز وحبوب ونارجيل وقصب وبقول وحنطة وشعير، وفلفل، وشاي وعندهم ثمار شجر يسمى الشكي والبركي، وبلاد الصين كثيرة الزروع والحبوب[3].

ويكثر بالصين الكافور والقرنفل والدرا صيني والعود والصندل والكاذي وهو ثمر شجرة تشبه النخل ولكن لا يطول طول النخل وإذا طلعت الشجرة منه طلعها قطعت الطلعة قبل أن ينشق[4]، وتكتنفها المزارع والبساتين وبها السكر الكثير والأعناب والإجاص، وبها البطيخ العجيب والعدس والحمص[5].

[1] - سليمان التاجر، مصدر سابق، ص58.
[2] - الإدريسي، مصدر سابق، ص 84.
[3] - شيخ الربوة، مصدر سابق، ص 154.
[4] - ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 639.
[5] - ابن الوردي، مصدر سابق، ص 131.

المبحث الرابع : الحياة الاجتماعية والدينية في بلاد الصين

1 – ملامح المجتمع الصيني :

أهل الصين بيض إلى صفرة فطس، ومن سنتهم أن يورثوا الأنثى أكثر من الذكر، وقد تنازع في أنساب أهل الصين وبدئهم، فذكر الكثير منهم أن ولد عابور بن سوبيل بن يافث بن نوح عليه السلام لما قسم فالغ بن عامر بن ارفخشد بن سام بن نوح الأرض، وعبر ولد عابور نهر بلخ حتى انتهوا إلى أقصى بلاد الصين، وأهل الصين شعوب وقبائل، كقبائل العرب وأفخاذها وتشعبها في أنسابها، ولهم مراعاة لذلك، وحفظ له، وينسب الرجل منهم إلى خميس أبا إلى أن يتصل بعابور وأكثر من ذلك وأقل[1].

وهم معتدلوا المزاج حسنوا الشكل والصورة، سلسوا الأخلاق، وفيهم أجناس مختلفة البلاد والمساكن وهم يتباهون بنظافة الثياب ونبل الدور وكثرة الأواني ودورهم واسعة مزوقة المجالس بالتماثيل والنقوش وسكنهم مغطاة بكنائس من خشب، ويجعلون عتبات دورهم مرتفعة لتمنع القمامة من دورهم[2].

وأما الذين هم في البر في الصين الأدنى فإنهم قوم فيهم ورع ودقة نفوس وحسن الصورة وعدل[3]، وهم أشد الناس سواد الشعور ونسائهم يجزون شعورهم، وفيهم جمال وبياض نقى[4]، وأهل الصين إذا أرادو التزويج تهادوا وتهانوا ثم يشهرون التزويج بالصنوج والطبول وهديتهم من المال قدر الإمكان، ويتزوج الرجل من الصين ما شاء من النساء[5]، ولا يتزوج كل فخذ من فخذه ويزعمون أن في ذلك صحة النسل وقوام البنية، وإن ذلك أصح للبقاء وأتم للعمر[6].

---

[1] - المسعودي، **أخبار الزمان**، ص 104.
[2] - المروزي، مصدر سابق، ص2.
[3] - الزهري، مصدر سابق، ص18.
[4] - سليمان التاجر، مصدر سابق، ص54.
[5] - البكري، مصدر سابق، ص256.
[6] - الحميري، مصدر سابق، ص371.

ولباس أهل الصين صغار وكبار الحرير في الشتاء والصيف، فأما الملوك فالجيد من الحرير، في الشتاء يلبس الرجل السراويل، أما صيفا فقد كانوا يلبسون القميص الواحد من الحرير ولا يلبسون العمائم، ونساؤهم يكشفون رؤوسهن ويجعلنا فيها الأمشاط وربما كان في رأس المرأة عشرون مشطا من العاج والرجال يغطون رؤوسهم بشيء يشبه القلانس[1].

وثياب الحرير عندهم منسوجة من الذهب[2]، ونسائهم من أجمل النساء ولهم شعور طويلة وهن لا يتوارين ولا يتسترن بشيء، يمشين مكشوفات الرؤوس ويكللن رؤوسهن بعصائب فيها أنواع الودع الملون والأصداف المجزعة[3].

وكان الرجال والنساء من الأثرياء يرتدون ملابس طويلة إلى الكاحل ذات أكمام طويلة فضفاضة، وكانت المعاطف مبطنة بمشاقة الحرير أو الفرو التي تقي من البرد، وجميع الحكام سواء من كان منهم رفيع أم وضيع الشأن يرتدون نفس النوع من القلنسوة السوداء ذات الجناحين البيضويين فوق الأذنين تماما، والمتصلين قليلا جدا بالقلنسوة حتى أنهما ليتدليان بغاية السهولة، وكما يقولون فالداعي إلى هذا الترتيب الخاص هو ضمان أن يسير من يرتدي هذه القلنسوة منتصب القامة في تواضع دون أن يحني رأسه ولو قليلا [4].

وأهل الصين يأكلون الأرز والكوشان، الملوك منهم يأكلون خبز الحنطة واللحم من سائر الأطعمة الحيوانية، الخنزير وغيرها، والفاكهة، التفاح والخوخ والأترج والرمان والسفرجل والكمثري والموز واللوز والجوز والفستق والإجاص والمشمش[5].

ومنهم من يأكل اللحم ومنهم من لا يأكله، فالذين لا يأكلون اللحم هم البيالق، وإنما نسبوا للبيلقان[6].

---

[1] - سليمان التاجر، مصدر سابق، ص42.
[2] - المسعودي، **أخبار الزمان**، مصدر سابق، ص95.
[3] - الإدريسي، مصدر سابق، ص 92 .
[4] - هيلدا هو خام، مرجع سابق، ص208.
[5] - سليمان التاجر، مصدر سابق، ص 42.
[6] - الزهري، مصدر سابق، ص18.

والكفار من أهل الصين يأكلون الخنازير والكلاب ويبيعونها[1].

ومن خلال هذه المعلومات التي قدمها الرحالة والجغرافيون نجد بأنهم اتفقوا في كثير منها خاصة فيما يتعلق بالمأكل والملبس والمشرب.

كما اختلفوا في أمور أخرى، كالزواج مثلا حيث وقع الاختلاف بين سليمان التاجر والمسعودي في مسألة تشبيه أهل الصين، فسليمان ذكر أنهم شعوب وقبائل كشعوب بني اسرائيل وبطونها يتعارفون ذلك بينهم ولا يزوج أحد منهم قريبا ولا ذا نسب فلا تتزوج القبيلة من قبيلتها، عكس ما ذكره المسعودي حين قال أنهم كقبائل العرب وأفخاذها ولا يتزوج كل فخذ إلا من فخذهم، والصحيح ما قاله سليمان في هذه المسألة ولا يزال الصينيون محافظين على هذا النظام الاجتماعي، فلا يتزوجون إلا في قبائل غيرهم ليس كما قال المسعودي [2].

2 – الحياة الدينية :

دينهم يشبه دين المجوس، وهم يعبدون الأصنام ويصلون لها ويتضرعون إليها ولهم كتب دين[3]، وهم متمسكون بدين المجوسية، وأما الذين هم في جزائر البحر فيعبدون الشمس[4]، وأهل الصين كلهم على دين واحد وهو" ماني" بخلاف قتاي ويغر فإن فيهم سائر الأديان إلا اليهودية[5].

والصينيون يعظمون أمواتهم ويطول حزنهم عليهم، وديانتهم عبادة الأوثان والشمس والقمر ولهم أعياد لأصنامهم أعظمها عيد أول السنة يقال له **الزرار** يخرجون إلى مجمع ويعدون فيه الأطعمة والأشربة، ثم يأتون برجل قد حبس نفسه على ذلك الصنم العظيم وعلى جميع شهواته وتمكن من كل ما يريد فتقدم إلى ذلك الصنم وقد صير على أصابع يده شيئا يشعل بالنار ثم يحرق أصابعه بالنار ويسرجها بين يدي ذلك الصنم حتى يحترق ويقع منها ميتا، فيقطع فمن نال منه

---

[1] - ابن بطوطة، مصدر سابق، ص 641.

[2] - بدر الدين حي الصيني، مرجع سابق، ص91،92.

[3] - سليمان التاجر، مصدر سابق، ص43.

[4] - الزهري، مصدر سابق، ص 18.

[5] - المروزي، مصدر سابق، ص6.

شظية أو خرقة من ثيابه فقد فاز، ثم يأتون برجل آخر يريد أن يحبس نفسه للصنم للسنة المجدودة فيقف موضعه ويلبس الثياب ويضرب عليه الصنوج، ثم يفترقون فيأكلون ويشربون ويقيمون أسبوعا وينصرفون، وهذا الشهر الذي يلي هذا العيد فيه تسمية جناح وهو أول يوم من حزيران[1].

وأهل الصين يقولون **بالتناسخ** ويعملون بالنجوم، ولهم كتب يشغلون بها[2]، ودينهم دين من سلف وهي ملة تدعى السمنية، عباداتهم نحو من عبادات قريش قبل مجيء الإسلام: يعبدون الصور ويتوجهون نحوها بالصلوات، واللبيب منهم يقصد بصلاته الخالق، ويقيموا التماثيل من الأصنام والصور مقام قبلة، والجاهل منهم ومن لا علم له يشرك الأصنام بالهيئة الخالق، ويعتقدهما جميعا، وهذا الدين كان بدء ظهوره في خواصهم من الهند لمجاورتهم إياهم[3].

ومن مات منهم فإنه لا يدفن إلا في السنة والشهر واليوم والساعة التي ولد فيها، فإن مات في أهله ومنزله صين في نقير من الخشب كهيئة التابوت ويطرح عليه أدوية تحفظ جثته عن النتن التحليل إن كان موسرا، وإن كان مقلا طرح عليه الصدف المرق بعد أن يسحق حتى يصير كالذرور، وإذا مات الرجل تحدّ عليه ثلث سنين وكذلك على ابنها وأخيها، وإذا ماتت المرأة يحدّ الزوج عليها ثلث سنين ويبكي الرجل والمرأة على موتاهم في أول النهار ووسط النهار وآخره مادام الميت عندهم وإن لم يبك واحد منهم ومن أقربائه أدب وضرب ويقولون إنك قتلته إذ لم يحزنك موته[4].

لقد فصل الرحالة والجغرافيون في ديانة بلاد الصين ومعتقداتها حيث ذكروا أدق التفاصيل المتعلقة بحياتهم الدينية.

والحق أن ديانتهم لم تكن منحصرة في البوذية وهي ديانة دخيلة ليست لها علاقة بمعتقدات الصين الأصلية، بل هم يعتقدون بالسماء والقوات السماوية، كما أنهم يعتقدون بأرواح الآباء

---

[1] - اليعقوبي، مصدر سابق، ص 208،209.

[2] - ابن الفقيه، مصدر سابق، ص 69.

[3] - المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ص106.

[4] - المروزي، مصدر سابق، ص12.

والأجداد، وقد كان كثير من أهل الصين يعتقدون أن الله جسم وأن الملائكة أجسام لها أقدار، وأن الله وملائكته احتجبوا بالسماء، فدعاهم ذلك إلى اتخاذ التماثيل والأصنام على صورة الباري وبعضها على صورة الملائكة مختلفة القدود والأشكال، وعلى خلافها من الصور يعبدونها ويقربون لها القرابين وينذرون لها النذور لشبهها عندهم بالباري وقربها منه[1] .

[1] - بدر الدين حي الصيني، مرجع سابق، ص94،95.

المبحث الخامس : الحياة العلمية والعمرانية

1 – الوضع العلمي:

الفقير والغني من أهل الصين الصغير والكبير يتعلم الخط والكتابة، وفي كل مدينة كتاب ومعلم للفقراء وأولادهم، من بيت المال يأكلون[1]، ومنهم حكماء تكلموا في الفلك والطب والصبغة وكثير من علوم الهند، ولهم معرفة بخصائص النبات والحيوان قديمة جدا، عرفوا تربية دود الحرير على ورق التوت، ولهم أيضا كتبا في الأعشاب، كما عرفوا الطب وأدركوا الصلة بين اختلاف النبض وبين الأعراض التي تطرأ على البدن بانحراف الصحة، ثم لاحظوا أن أمراض الصدر كثيرة تكثر في الشتاء وأن الربيع يزيد في الأمراض العصبية، وأن الأمراض الجلدية تهيج في الصيف وأن الخريف زمن الحميات، وكانت المداواة عند الصينين مرجعها الأول إلى الوسائل الطبيعية من الاستشفاء عبر الماء والعيشة في الخلاء وتناول الأشربة النباتية البسيطة وإلى الحجامة، وقد شغل الصينيون أنفسهم كثيرا بالبحث عن العقاقير التي يطيل الحياة[2].

وأهل الصين قوم منجمون، لهم معرفة وفطنة وعندهم علم بالرقى والعزائم وبها يتطيرون ومن عندهم أخرجها **الخوارزمي** إلى بلاد العراق كما أخرج من عندهم النظر إلى المرآة، وهم أقدر الناس على هذا الفن حتى لا يكاد يموت منهم صغير ولا كبير إلا وهو ينظر في المرآة [3].

والكتابة الصينية تجري مجرى النقش يتعجب كاتبها الحاذق الماهر فيها، وقيل أنه لا يمكن الخفيف اليد أن يكتب منها في اليوم أكثر من ورقتين أو ثلاثة وبها يكتبون كتب ديانتهم وعلومهم في المراوح، وقد رأيت منها عدة، وللصين كتابة يقال لها المجموع، وهو أن لكل كلمة تكتب بثلاث أحرف وأكثر صورة واحدة ولكل كلام بطول شكل من الحرف يأتي على المعاني الكثيرة، فإذا أرادوا أن يكتبوا ما يكتب في مائة ورقة في صفح واحد بهذا القلم[4].

---

[1] - سليمان التاجر، مصدر سابق، ص 53.

[2] - المسعودي، **أخبار الزمان**، مصدر سابق، ص94.

[3] - الزهري، مصدر سابق، ص 18.

[4] - سليمان التاجر، مصدر سابق، ص 58.

كان ملوك الصين يهتمون بنشر العلم وتعميم التعليم، فلذلك نرى أن الصين في ذلك الوقت أصبحت أقواها وأكثرها حياة ونشاطا في سبيل التقدم الإنساني، فاهتمت بالعلم ولا سيما علوم الفلك والنجوم والطب[1].

2- العمران :

بلاد الصين أنزه وأحسن، ومدنهم عظيمة مشرفة محصنة مستورة[2]، فمن عجائب الصين الهيكل المدور، وهذا الهيكل بأقصى بلاد الصين وله سبعة أبواب، في داخله قبة عظيمة البنيان عالية السمك، وفي أعلى القبة شبه جوهرة كرأس عجل يضيء منها جميع أقطار الهيكل، وفي هذا الهيكل بئر واسعة الرأس، وعلى رأس البئر شبه طوق مكتوب عليه: هذه البئر مخزن الكتب التي هي تاريخ الدنيا وعلوم السماء والأرض وما كان فيها وما يكون[3].

وقد رام جماعة من الملوك أخذها فلم يدن أحد منه على عشرة أذرع إلا مات، وإن رام أخذها بشيء من الآلات الطوال إذا بلغ ذلك المقدار انعكس، فليس يتأتى تناولها بشيء ولا سبب، وإن تعرض أحد لهدم شيء من الهيكل مات مكانه بقوة دافعة منفرة قد عملت من أنواع الأحجار المغناطسية[4].

---

1 - بدر الدين حي الصيني، مرجع سابق، ص93.

2 - ابن الفقيه، مصدر سابق، ص20.

3 - القزويني، آثار البلاد، مصدر سابق، ص 53.

4 - الحميري، مصدر سابق، ص 372.

الخلاصة :

وخلاصة القول أنه ومن خلال ما قدمت لنا المعطيات الجغرافية التي وردت في كتابات الرحالة الجغرافيين المسلمين، قد أعطت لنا صورة واضحة عن موقع وحدود البلد البرية والبحرية، حيث اتصف الوصف الجغرافي لبلاد الصين بالدقة والشمولية.

وقد تعرض الرحالة أيضا للأوضاع السياسية في بلاد الصين، وقدموا معطيات دقيقة أبرزت خصائص الحكم في البلاد وأحكام التنظيم الإداري وأبرزوا الملوك الذين حكموا بلاد الصين والنظم السائدة في كامل البلاد والأوضاع السياسية في كل ناحية من نواحيها.

كما وعرفت الصين نشاطا اقتصاديا متينا وذلك راجع إلى تنوع المنتجات الاقتصادية من معادن وحبوب ونبات وأسواق وحركة تجارية، ووصف الرحالة والجغرافيون أهم الصناعات الصينية التي كانت تتصف بالإتقان والإبداع.

وكانت الحياة الاجتماعية والدينية ثرية ومتنوعة هي الأخرى في كتابات الرحالة والجغرافيون حيث نقلوا صورا عن أسلوب الحياة ومجموعة التقاليد والعادات والقيم والأدوات والمعتقدات والممارسات الدينية، واهتموا بمميزات كل مجتمع ووضعهم وصفا دقيقا من ناحية الجنس والهيئة والشكل والملابس والأطعمة والأشربة والمساكن.

الفصل الثالث:

بلاد الهند والسند في كتابات الرحالة والجغرافيين

رصد الرحالة والجغرافيون المسلمون شكل الأوضاع السائدة في بلاد الهند والسند خلال الفترة الممتدة ما بين القرن الثالث والتاسع الهجريين، وقد ورد في نصوصهم جملة من المعلومات حول هذه البلاد شملت جميع جوانبها على اختلافها، كيف كانت الأوضاع السائدة خلال هذه الفترة المدروسة التي عكستها مدونات الرحالة والجغرافيون؟

المبحث الأول: الوصف الطبيعي والجغرافي لبلاد الهند والسند

تطرق مختلف الرحالة والجغرافيون المسلمين لتحديد الموقع الجغرافي للهند، إلا أن الرحالة الأوائل لم يتحدثوا في هذا الشأن، فأول من تحدث عنها **المسعودي**[1] وقال: "وأرض الهند أرض واسعة في البر والبحر، وهي متصلة مما يلي الجبال بأرض خراسان[2] والسند إلى أرض التبت، وتحدث عنها **الإصطخري**[3] وقال: "وأما أرض الهند فشرقيها بحر فارس وغربها وجنوبها بلاد الإسلام وشماليها مملكة الصين".

وبالإضافة إلى ذلك فإن **القزويني**[4] وصف بلاد الهند وقال: "هي بلاد واسعة كثيرة العجائب تكون مسافتها ثلاثة أشهر في الطول وشهرين في العرض وهي أكثر أرض الله جبالا وأنهارا..."

كما تحدث **شيخ الربوة**[5] في كتابه في وصف الهند قائلا: في وصف البلاد الهندية وما هو مشرقها بارض الصين، وما هو شمالها وهي أربعة أصقاع الصين الخارج وهندستان وسجستان[6]".

---

[1] - **مروج الذهب** ، مصدر سابق ، ص66.

[2]- **خرسان**: بلاد واسعة، أول حدودها مما يلي العراق أزاذوار جوين وبيهق وآخر حدودها مما يلي الهند طخارستان وغزنة وسجستان وكرمان، تشتمل على أمهات المدن منها نيسابور وهراة، وهي كانت قصبتها/ ياقوت الحموي، **معجم البلدان**، ج2، مصدر سابق ، ص401.

[3] - مصدر سابق ، ص6 .

[4] - **عجائب المخلوقات** ، مصدر سابق ، ص 127.

[5] - مصدر سابق ، ص180 .

[6] - **سجستان**: بكسر أوله وثانيه، وسين أخرى مهملة، وتاء مثناة من فوق، وآخره نون، وهي ناحية كبيرة وولاية واسعة ذهب بعضهم إلى أن سجستان اسم للناحية وأن اسم مدينتها زرنج، وأرضها كلها رملة، والرياح فيها لا تسكن أبدا / ياقوت الحموي ، **معجم البلدان** ، ج3 ، مصدر سابق ، ص 214.

ووصف **أبو الفداء**[1] الهند: من الأنساب بكسر الهاء وسكون النون ودال مهملة ولما فرغ من السند انتقل إلى الهند والذي يحيط بالهند من جهة الغرب بحر فارس وتمامه حدود السند ويحيط بالهند من جهة الجنوب البحر الهندي والذي يحيط بها من جهة الشمال طوائف الأتراك".

وأرض الهند حسب تعبير ابن **الوردي**[2]: "فإن طولها من عمل مكران في أرض المنورة والبدهة وسائر بلاد السند إلى أن ينتهي إلى قنوج، ثم تحوزه إلى أرض التبت نحو أربعة أشهر وعرضها من بحر فارس على أرض قنوج، نحو من ثلاثة أشهر"، وقال أيضا " أرض واسعة عظيمة في البر والبحر والجنوب والشمال..."

هذا وتحدث **ابن سباهي زادة**[3] عن أرض الهند وقال: بكسر الهاء وسكون النون ودال مهملة وهو أحد الأقاليم المعرفية، سميت هند بن حام بن نوح عليه السلام، والذي يحيط بالهند من جهة الغرب بحر فارس وتمامه حدود السند، ومن جهة الجنوب البحر الهندي، ومن جهة الشرق المفاوز الفاصلة بين الهند والصين، ومن جهة الشمال بلاد طرائق الأتراك وقال بعض المسافرين: الهند ثلاثة أقاليم: الإقليم الأول وهو الذي إلى جهة الغرب ويتصل ببلاد السند وكرمان[4] ويقال له الجزرات والثاني المِنَيْبَار وهو شرقي الجزرات والثالث المعبر.

وأما بلاد السند فقد تحدث عنها **ابن حوقل**[5] فقال:" أما بلاد السند وما يصاقبها الإسلام بم جمعته في صورة واحدة فهي بلاد السند وشيئ من بلاد الهند وشرقي ذلك كله بحر فارس وغربها كرمان ومفازة سجستان وشماليها بلاد الهند وجنوبها مفازة ... ما بين مكران والقفص"، وهو نفس ما جاء به **الإصطخري**[6] في حديثه عن حدود بلاد السند، وأما **البكري**[7] فقال:" حدها من شرقها مكران

[1] - مصدر سابق ، ص80 .

[2] - مصدر سابق ، ص39 .

[3] - مصدر سابق ، ص649،648.

[4] - **كرمان**: بالفتح ثم السكون، آخره نون، وربما كسرت والفتح أشهر بالصحة، وكرمان في الإقليم الرابع، طولها تسعون درجة وعرضها ثلاثون درجة، ولاية مشهورة وناحية كبيرة معمورة ذات بلاد وقرى ومدن واسعة / ياقوت الحموي ، **معجم البلدان**، ج4 ، مصدر سابق ، ص515.

[5] - مصدر سابق، ص 274.

[6] - مصدر سابق، ص 170.

[7] - مصدر سابق، ص 205.

وطوران والبدهة وشيء من بلاد الهند وبحر فارس في شرقي ذلك كله وحدها في غربها كرمان ومفازة سجستان وفي الشمال بلاد الهند وفي الجنوب مفازة كرمان والقفص ومن ورائها بحر فارس".

وذكرها **ياقوت الحموي**[1] في كتابة "**معجم البلدان**": السند بكسر أوّله، وسكون ثانية، وآخره دال مهملة: بلاد بين بلاد الهند وكرمان وسجستان، قالوا السند والهند كانا أخوين من ولد "بوقير بن يقطن بن حام بن نوح"، يقال للواحد من أهلها سِنديّ والجمع سند.

بالإضافة إلى ذلك فإن **شيخ الربوة**[2] قال:" فأما بلاد السند الساحلية فإنها متاخمة من جهة المشرق لآخر بلاد كرورا"، وأما **ابن الوردي**[3] فقال:" وأما السند فهو إقليم عظيم مجاور للبحرين غربي الهند وهو قسمان قسم على جانب البحر ويقال لذلك بلاد الان".

كذلك **ابن سباهي زادة**[4] تحدث عن السند فقال:" بكسر السين المهملة وسكون النون ثم دال مهملة في الآخر، اسم إقليم سميت بسند بن حام بن نوح عليه السلام ويحيط بذلك من جهة الجنوب الغرب حدود كرمان وتمام الحد مفازة سجستان ويحيط بها من جهة الجنوب مفازة وهي فيما بين كرمان البحر الجنوبي المفازة ويحيط بها من جهة الشرق بحر فارس أيضا لأن البحر يتفوس على كرمان والسند حتى يصير له دخلة شرقي بلاد السند ومن الشمال قطعة من الهند".

كما قدمت لنا كتب الرحلة والجغرافية وصفا دقيقا لبلاد الهند فقد أسهموا في الحديث عن الجزر فوصفوها وصفا دقيقا: فقد تحدث عنها **سليمان التاجر**[5] وقال: "**سرنديب**... جزيرة عظيمة فيها العود والذهب والجوهر".

[1] - **معجم البلدان**، ج3،مصدر سابق، ص303.
[2] - مصدر سابق، ص 174.
[3] - مصدر سابق، ص 166،165.
[4] - مصدر سابق، ص 399.
[5] - مصدر سابق، ص33،32.

وتحدث عنها **البكري**[1] وقال: "وبين بحر هركند ولاروي جزائر نحو ألف وبين كل جزيرة الفرسخ ونحوه تملكها إمرأة وهذه الجزائر تعرف بالديبجات ولا تحصى جيوشها وأخرها سرنديب وتتصل بها جزر مختلفة لا تحصى جيوشها ".

هذا وقد أطنب **الإدريسي**[2] في وصف الجزر المتصلة ببلاد الهند حيث قال: "ويتصل بجزيرة جابة جزيرة **مايط** على قرب منه وفيها نارجيل وموز وقصب السكري ..." وقال أيضا " وعلى يسار جزيرة مايط جزيرة **تنومة** وبين مايط يوم وهي جزيرة عامرة وطعام أهلها، وبها مياه عذبة..."وقال أيضا "من جزيرة **سندلن** إلى جزيرة **بليق** يومان وهي جزيرة عامرة وكبيرة بها نارجيل كثيرة وموز وأرز وبها تفترق الطرق إلى جزائر الهند ".

بالإضافة إلى ذلك فإن **الزهري**[3] قال: " بلاد الهند منها في البر ومنها في البحر فأما التي في البحر فجزائر كثيرة المذكورة منها سبعة أعظمها وأكبرها جزيرة كَوْلم وهي جزيرة عظيمة دورها خمسمائة فرسخ وفيها خمس مدائن، وهذه الجزيرة أخصب بلاد الهند وأكثرها فوائد وأطيبها رائحة، وقال أيضا: " ومما يلي جزيرة كولم من ناحية المغرب جزيرة قمْرة طولها في البحر خمسون فرسخا وعرضها في مثل ذلك، وكذلك يوجد في هذه الجزيرة كثير النارجيل " بالإضافة إلى جزر أرين جزيرة زنجر وجزيرة النهروان وجزيرة البروج ، أما الجزر المتصلة ببلاد الهند برا تحدث عنها الزهري وذكر وقال:" سرنديب وهي أرض قد أحاط بها البحر من كل ناحية وجانب شبه الجزيرة غير أن لها برا متصلا ومدخل أهل أرين المتصلة ببلاد العراق وسميت أرض سرنديب لأن فيها الجبل الذي نزل عليه آدم عليه السلام".

كما تحدث **القزويني**[4] بشكل عميق ووصف الجزر وصفا دقيقا حيث قال:" منها جزيرة **برطابيل** وهي قريبة من جزيرة **الرانج** لها قوم وجوههم كالمجانّ المطرقة وشعورهم كأذناب البراذين وبها الكركدن بها جبال يسمع منها بالليل صوت الطبل والدف" .

---

[1] - مصدر سابق ، ص 192.

[2] - مصدر سابق ، ص82-85.

[3] - مصدر سابق ، ص19.

[4] - **آثار البلاد** ، مصدر سابق ، ص 134-137.

وقال أيضا:" جزيرة **القصر** وهي جزيرة فيها قصر أبيض يتراءى للمراكب فإذا شاهدوا ذلك تباشروا بالسلامة والربح والفائدة"، بالإضافة إلى جزيرة **حَارّة** بها جبال عليه نار عظيمة بالليل ترى من بعد بعيد وبالنهار دخان ولا يقدر أحد الدنو منها وبها العود[1] والموز والنارجيل وقصّب السكر وسكانها قوم شقر".

كما أن **شيخ الربوة**[2] أثناء وصفه لبلاد الهند تطرق إلى وصف الجزر، وبرز ذلك من خلال،" فمن أول جزائر بحر الهند بالجنوب وراء خط الاستواء جزيرة **أصرار** يحيط بها نحو ألف ميل وبها مدينة سميت الجزيرة باسم المدينة وفي طرفها جبل شاهق مطل على البحر"، وذكر أيضا:" جزيرة **كندلاوي** طولها ست فراسخ في أربعة فراسخ بها بركان عظيم اللهب شديد الأصوات بها أنواع الطيب وأهلها كفار يعبدون النار ويقع بسواحلها من العنبر الكثير"، وتحدث أيضا:" جزيرة أندلسيان وجزائرها ويقال أن مدنها سبع جزر متقاربات صغار وكبار معمورات بقوم من الهنود والزنج قباح الوجوه "، وقد ذكر الكثير من الجزر التي لم يتسنى لنا ذكرها منها: مندابولات، كرمولا، سيلان.

وقد سار **ابن الوردي**[3] على نهج السابقين من الرحالة والجغرافيين في وصف بلاد الهند وتطرق لوصف الجزر حيث قال:" فمن جزائر الهند جزيرة كله وهي جزيرة أشجار وأنهار وأثمار فيها معادن القصدير وشجر الكافور وهي تظل مائة رجل أو أكثر، وبها الخيزران وفي عجائب هذه الجزيرة ما يقع في واصفها في حد التكذيب" .

أفادتنا كتب الرحالة والجغرافيا كثيرا في التعرف على الجزر المتصلة ببلاد الهند إلى جانب هذا فإنهم تحدثوا على الجوانب الأخرى وأهمها التضاريس في الهند فقد تحدثوا عن جبالها وسهولها وأنهارها والبحار المطلة عليها ونذكر منهم: تحدث **سليمان التاجر**[4] عن بحار الهند فقال: " ذكر

---

[1] **- العود** : شجر عظام بمواضع من أرض الهند، وهي معادن له، والعود ومعادنه وأصنافه فهو أنواع كثيرة وأصناف متباينة، فأفضله وأجله وأنفسه المندلي وهوالهندي / النويري ، **نهاية الإرب في فنون الأدب** ، تح : مفيد قميحة ، ط$_1$، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1424 – 2004 م ،ج12 ، ص 15 .

[2] - مصدر سابق ، ص 159.

[3] **- الكافور**: شجرة كبيرة هندية يألفها النسر تظل خلقا كثيرا لا يصل إليها الناس إلا في وقت من السنة معلوم وهي سفحية بحرية خشبها أبيض هش خفيف صمغها كافور ويسيل من أسفل الشجرة / القزويني، **آثار البلاد** ، مصدر سابق، ص 275.

[4] - مصدر سابق ، ص45.

بحر هركند وهوراس هذه الجزائر كلها وهم يدعونها الديبجات"، " أما بحر هركند له ريع، فيغلي لها البحر غليان القدور وبه سمك يدعى اللّخّم"، وقال عن الجبال:" قال أن بقرب الزابج جبل النار لا يقدر على الدنو منه يظهر منه بالنهار دخان وبالليل لهب نار يخرج من أسفله عين باردة وعين حارّة".

وقد أورد عبر **ابن رسته**[1] في كتابه عن صفة الأنهار قال:" وفي المعمورة أنهار عظام مشهورة بعضها مما عرفناه، وقد بلغنا خبره منها ما يسمى كنْك يجري في أعلى بلاد الهند يخرج من جبال فوق قشمير الرابعة ويجري إلى ناحية الجنوب حتى ينصب في البحر الهندي ".

أما عن أنهار السند فقد ذكر **البكري**[2] نهر **مهران** يخرج من جبال وله شقان ويقال أنه يخرج من جبل يخرج منه بعض الأنهار جيجون وتمده أنهار كثيرة وعيون غزيرة يقطع بلاد الهند والسند نهر عذب قيل به تماسيح، ونهر هند منذ وسجستان ينصب فيه ألف نهر ولا يتبين فيه زيادة وينشعب من ألف نهر ولا يظهر فيه نقصان، وتحدث عن تضاريس الهند وبحارها حيث قال:" بحر الهند ليس في المعمور أعظم منه طولا من المشرق إلى المغرب ثمانية آلاف ميل وعرضه ألفان وسبعمائة ميل وعرضه في موضع آخر ألف وتسعمائة ميل وهذا البحر إن كان واحدا فهو ستة أبحر متخرقة بعضها إلى بعض.

ومنها بحر لاروي ثم بحر هركند ثم بحر كلابار،" تحدث كذلك عن الأنهار قال:" وأعظم أنهارهم نهر مهران ونهر شدروذ وهو يصب في مهران ونهر جندور فهو نهر كبير من أعذب المياه وهو في نواحي المنصورة وزعموا أيضا أن الهند اسم نهر هناك وبه سميت الهند ".

هذا وتحدث **الإدريسي**[3] ووصف مختلف تضاريس الهند حيث قال:" بحر هركند بلغة أهل الهند وفي هذا البحر عجائب كثيرة وصور شتى"، وقال أيضا: البحر الهندي وهو البحر المعروف بالبحر الصنفي وفيه شيء من بحر المسمى ببحر لاروي وهي هذا البحر جملة جزائر على جنوبه

---

[1] - **الأعلاق النفيسة** ، دار صادر، بيروت ،1892،ص89.

[2] - مصدر سابق، ص 188،178.

[3] - مصدر سابق ، ص 65-68.

قطعة من بلاد سفالة"، وتحدث عن الجبال فقال:" وجنادل ودولفة في أسفل جبل معترض من جهة شمالها يسمى جبل أوندران وترابه أبيض إلى الصفرة وبه قليل من النارجيل".

أما **أبو حامد الأندلسي**[1] قال:" كذلك يوجد في بحر الهند خلج أحمر كالدم وبحر أصفر كالذهب، وخليج أبيض كاللبن وخليج أزرق كالنيل والله أعلم من أي شيء تتغير هذه الألوان في هذه المواضع والماء نفسه أبيض صاف كسائر المياه".

بالإضافة إلى هؤلاء نذكر **الزهري**[2] الذي وصف الهند وتحدث عن بحر الهند فقال:" وبقرب هذا الجبل مما يلي بلاد السند الجبل المعروف الجبل المعروف بجبل المها ومنه يقطع المها وهو الياقوت الأبيض".

أما **القزويني**[3] فقد تحدث عن بحر الهند فقال:" هو أكبر البحار وأوسعها وأكثرها خيرا ولا يعلم أحد بكيفية اتصاله البحر المحيط لعظم اتصال الموضع، وبحر الهند حاله مخالف لبحر فارس لأنه عند نزول الشمس"، وتحدث عن جبل حراب وقال:" بأرض الهند في ذروته نار تتقد مقدار مائتي ذارع في مثلها وبالنهار دخان حواليه منابت العطر يجلب منها إلى سائر الأفاق"، وقال عن الأنهار: نهر كنك وهو نهر عظيم وللهند ويقولون إنه شاق إلى الجنة".

بالإضافة إلى ذكره مختلف الجبال والأنهار ومنها جبل عين العقاب كما ذهب **شيخ الربوة**[4] أفادنا كثيرا في هذا الجانب وتحدث عن الأنهار" وذكر نهر كنك ويقال له بالهندية كانكو ويمر شرقي قنوج حيث الطول مائة واربع درجات وخمسون دقيقة والعرض ست وعشرون وخمس وثلاثون دقيقة".

---

[1] - مصدر سابق ، ص 119.
[2] - مصدر سابق ، ص134.
[3] - **آثار البلاد** ، مصدر سابق ، ص 134 .
[4] - مصدر سابق ، ص 62،63.

وتحدث **ابن الوردي**[1] في نفس السياق وذكر بحر الهند وقال:" بحر الهند وهو أعظم البحار وأوسعها وأكثرها خيرا ومالا ولا علم لأحد بكيفية اتصاله بالبحر والمحيط لعظمته وسعته"، وتحدث عن الجبال وقال:" جبل الهند بأرض الهند جبل عليه صورة أسدين والماء يجري من أفواههما، فانقطع الماء أصل من ذلك الأسد وخربت تلك القرية وارتحل أهلها والأسد الآخر على حاله والقرية الأخرى عامرة".

أما **ابن سباهي زادة**[2] تحدث عن بحر هركند:" بالنون بحر في أقصى بلاد الهند بين الهند والصين وفيه جزيرة سرنديب قيل هي آخر جزائر الهند مما يلي الشرق كذا في المراصد".

وتحدث كتب الرحلة والجغرافيا أيضا بلاد السند ومدنها فذكر **ابن حوقل**[3] مدينة **المُلتان** مدينة نحو المنصورة في الكبر تسمى فوج بيت الذهب وبها الصنم الأعظم للهند الذي تحج إليه من أقاصي بلدانها وسائر أصقاعها تعظمه وسميت الملتان باسم الصنم، كما تحدث **الإصطخري**[4] عن **المنصورة** وقال أنها من أهم مدن السند فهي مدينة مقدارها في الطول والعرض نحو ميل ويحيط بها خليج من نهر مهران وهي شبيهة بالجزيرة أهلها مسلمون وهي مدينة حارة بها نخيل وليس لهم عنب ولا تفاح ولا كمثري ولا جوز يتعاملون بالدينار زيهم مثل زي أهل العراق إلا أن زي ملوكهم يشبه زي ملوك الهند.

وذكر **الإدريسي**[5] مدينة السندور وهي مدينة عامرة جامعة للخيرات مشهورة البركات وبها تجار وناس لطاف ولباسهم الثياب المحكمة وزيهم حسن وتحدث الزهري عن جزائر السند وقال هي كثيرة المشهور منها أكبرها وأعظمها جزيرة طرفة وفيها معادن الحديد ومنها يجلب إلى بلاد الهند والصين.

---

[1] - مصدر سابق ، ص213.
[2] - مصدر سابق ، ص 649،648.
[3] - مصدر سابق، ص 275.
[4] - مصدر سابق، ص 171.
[5] - مصدر سابق، ص 178.

ذكر **شيخ الربوة**[1] المنصورة مدينة بنيت في صدر الإسلام وتسمى بالهندية **تاميران** وكتن موضعها فيضة يحيط بها خليج من نهر مهران ويشتمل من هذه الناحية نحو من ثلاثين ألف قرية، وفي نفس السياق ذكر **ابن بطوطة**[2] العديد من المدن ومنها مدينة **بكار** وهي مدينة حسنة يشقها خليج من نهر السند وفي وسط ذلك الخليج زاوية حسنة فيها الطعام للوارد والصادر.

وقد قدمت لنا كتب الرحلة والجغرافيا أيضا صورا عن الحيوانات والنباتات الموجودة داخل الهند، حيث أفادنا **سليمان التاجر**[3] في هذا الجانب حيث قال: "بحر الهركند به سمك يدعى اللّخم"، وقال أيضا:" وفي بلاد الهند البشان المعلم وهو الكركدن له في مقدمة جبهته قرن واحد وفي قرنه علامة صورة خلقه كصورة الإنسان القرن كله أسود والصورة البيضاء وهذا الكركدن يختلف عن الفيل في الخلقة يشبه الجاموس"، وأما عن النبات فقال:" ليس لهم نخل ولهم سائر الشجر والثمر ولهم العنب والرمان وسائر الفواكه".

أما عن الحيوانات الموجودة في بلاد السند، فقد ذكر **الزهري**[4] حيوان صفته صفة الكلب غير أنه صغير الأذنين قصير القوام وله ذنب قصير وله وبر كامل لا يبتل في الماء وهذا الحيوان يتناسل في الماء لكنه يخرج إلى البر ويسرح فيه ويفسد كل ما يجد من الزرع والعنب ويصاد بالشباك، كما ذكر **ابن بطوطة**[5] الكركدن.

وتحدث **الثعالبي**[6] فقال:" بحر هاذُرْ، وجبلها ياقوت، وشجرها عود وورقها عطر"، وساهم أيضا **البكري**[7] في إفادتنا في هذا الجانب حيث تحدث عن الحيوانات في الهند وقال:" وليس في فيلة ملوك الهند أجرأ على القتال من فيلة الصيلمان"،" وفي بحر هركند حيات عظام تخرج إلى البر فتبلع الفيلة وتكتف الصخور في البر"، أما عن النباتات فقد وصف البكري الأشجار وقال: " زعموا

[1] - مصدر سابق، ص 135.
[2] - مصدر سابق، ص 412.
[3] - مصدر سابق ، ص 35.
[4] - مصدر سابق، ص 32.
[5] - مصدر سابق، ص 408.
[6] - مصدر سابق ، ص 429.
[7] - مصدر سابق ، ص 198.

أن جزيرة **الصنف** بينها وبين قمار التي يجلب منها العود القماري مسيرة شهر بها العود الهندي وذكروا أن شجرة العود الطيب تكون بقدر شجر الرمان إلا أن ورقها مثل ورق الريحان".

كما ذكر **الإدريسي**[1] بشكل دقيق في هذا الجانب فقد ذكر:" وفي هذا الإقليم من الحيوانات التي لا توجد بغيره من الأقاليم الباقية الفيلة، الكركدنات والزرائف والقردة ذوات الأذنان والبقر والجواميس والنسانس وهم صنف من الخلق يتعلقون بالشجر"، وذكر أيضا مختلف النباتات والأشجار الموجودة في بلاد الهند حيث قال:" وبجزيرة تنومة يوجد العود الهندي والكافور ونبات العود تكون أوراقع وأغصانه شبيهة بأغصان النبات المسمى الصاص بالسواد والعود وأصوله تستخرج في وقت لا يكون في غيره بعد أن يتقدم في قطع أغصانه قبل ذلك بشهر"، وقال أيضا " وقد يوجد ببلاد الهند نبات يسمى العنب وهو شجر كبير يشبه شجر الجوز وله ثمر مثل ثمر المقل حلو إذا عقد في أوله ويجتمع في ذلك الحين فيعمل بالخل فيكون طعمه كطعم الزيتون سواء وهو عندهم أيضا من الكوامخ الشهية".

وفي نفس السياق تحدث **الزهري**[2] وقال عن النباتات الموجودة في الهند الكثير ومن أمثلة ذلك:" وكذلك من عجائب هذه الجزيرة شجر السبخ وهي أشجار كبار لها أوراق النشم تثمر في كل عام آذار " مارس " بجوز عظيم الخلقة تشبه الجوز منها أربع أنفس وأكثر"، وقال أيضا:" ويجلب من هذه الجزيرة أيضا النيلج الطيب الذي يصعد على الماء عشرين مرة وهو أطيب نيلج في الأرض " أما عن الحيوانات فقد ذكر:" توجد دواب المسك الأذخر وهو طيب من كل مسك وصفة هذه الدابة هي حيوان أكبر من الهّرمدنرّ بأسود في صفرة يخرج وراءه الصيادون بالخيل والسلاح، وقيل إن اسم هذا الحيوان دارين يوجد في بلاد سرنديب وفي مدينة ودان".

أما **القزويني**[3] في هذا الصدد قال عن الحيوانات: "وأعلم أن في البحر حيونات كثيرة ذوات صور شتى وليس في ذكرها فائدة على بعض أولى"، كما ذكر القزويني عجائب حيوانات لا

---

[1] - مصدر سابق ، ص 100،99.
[2] - مصدر سابق ، ص 22-27.
[3] - **آثار البلاد** ، مصدر سابق ، ص 135-137.

يصدقها العقل حيث قال: بأرض الهند بحيرة مقدار عشرة فراسخ، وبها حيوانات على صورة الإنسان وإذا كان الليل يخرج منها عدد كثير يلعبون على الساحل البحر ويرقصون ويصفقون باليدين، ويخرج منها أيضا حيوانات على غير صورة الإنسان عجيبة الأشكال".

بالإضافة إلى ما سبق ذكره فإن **شيخ الربوة**[1] أيضا من أهم من تحدث عن الحيوانات والنباتات في بلاد الهند حيث ذكر: "فمن أول جزائر بحر الهند بالجنوب، وفي طرفها جبل شاهق مطل على البحر فيها نوع من القرود كبار الجثة وأحدهم كالبقرة أو الحمار"، أما عن النبات فقال:" وبالجزيرة شجر القرنفل وهو شجر الياسمين وزهره غليظ أسود وهو كباش القرنفل ومنه ذكر ومنه أنثى والذكر منه ثمراته كنواة الزيتون وأطول وله علك كعلك البطم وقرفة القرنفل قشر شجرته وبها أيضا قصب الذريرة"

وأخيرا **ابن بطوطة**[2] من أهم الرحالة العرب والمغاربة الذين تحدثوا من الجانب الطبيعي لبلاد الهند وخاصة الأشجار والثمار فقد ذكر الكثير الأنواع من الأشجار ومن بينها نذكر:" العنبة وهي أشجار تشبه النارنج إلا أنها أعظم أجراما (أي أعظم جسما) وأكثر أوراقا وظلها أكثر الظلال، ثمرها على قدر الإجاص الكبير"، وذكر أيضا:" المهْوا وأشجار عادية وأوراقه كأوراق الجوز إلا أن فيها حمرة وصفرة وثمره مثل الإيجاص الصغير شديد الحلاوة وفي أعلى كل حبة منه حبة صغيرة بمقدار حبة العنب مجوفة وطعمها لعنب إلا أن الإكثار من أكلها يحدث صداعا"، وبالإضافة إلى ذلك ذكر أيضا الشكي والبركي، التندو الجوز، الأنكُز أما عن ذكره بعض من الزروع مثل الماش، الموث، الكُنْدوُر.

لقد اتفقت المصادر حول كثير من المعلومات التي أوردوها في كتبهم كما اختلفوا في غيرها، خاصة من ناحية الوصف الطبيعي فقد ذكروا من الأمور ما يصعب تصديقه.

كما اختلف المؤرخون بشأن اسم بلاد السند، حيث أشاروا إلى أن الاسم القديم لبلاد السند كان "سندهو" الذي أطلقه أهل هذه البلاد في بداية الأمر على نهر السند ثم أطلق الاسم "سنده" على

[1] - مصدر سابق ، ص 157-160 .

[2] - مصدر سابق ، ص 417-419.

المنطقة التي كان يجري عليها الجزء الأسفل لنهر السند، ويطلق اسم السند بصفة عامة على المناطق المحيطة بنهر السند الكبير، وإن اختلفوا بالنسبة لحدود بلاد السند، ومن مميزات المناظر الطبيعية ببلاد السند أنه تكثر بها بحيرات صغيرة وأراضي وحلة، كما تكثر بها الطيور المائية مثل الإوزة وأهم هذه البحيرات بحيرة منوجهر الواقعة في منطقة دادو بالسند[1].

هذا وذكر **أحمد محمود الساداتي**[2] أن الناس اختلفوا في منشأ تسمية هذه البلاد، فمنهم من نسبها إلى الإله "إندرا" إله الهند القديم، ومنهم من ردها إلى السند الذي كان يعرفه الفرس القدماء باسم "هندهو" أي النهر، جريا على عاداتهم في إبدال السين السنسكريتية بالهاء.

---

[1] - محمد عبد العظيم أبو النصر الصوفي، **تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند والسند والبنجاب**، ط1، شركة نوابع الفكر، القاهرة، 1430-2009م، ص8،7.

[2] - **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم**، مكتبة الآداب، القاهرة، د.س، ص3.

المبحث الثاني : الأوضاع السياسية لبلاد الهند والسند:

إلى جانب الوصف الطبيعي والجغرافي، تطرقت كتب الرحلة والجغرافيا إلى الحديث عن الأحداث السياسية وخاصة الملوك والممالك الهندية، فقد تحدث **سليمان التاجر**[1] عن ملوك الهند خلال القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي، وأمثلة ذلك أنه ذكر الجزر وملوكها حيث قال:" منهم ملك يدعى **ملك الجزر** وهو كثير الجيش ليس لأحد مثله وهو عدو العرب غير أنه مقر أن ملك العرب أعظم الملوك وليس أحد أعدى الإسلام منه أموالهم كثيرة وإبلهم ومواشيهم".

بالإضافة إلى هذا فإن **اليعقوبي**[2] تحدث عن ممالك الهند فقال: لهم ممالك مختلفة وملوك متفرقة لسعة البلد في طوله وعرضه فأول ملوكهم مما يتاخم البلاد الذي التي هي اليوم دار الإسلام، **دانف** وهو ملك عظيم القدر ثم من بعده **رهمي** وهو أعظم قدرا وأعز بلاد، ثم مملكة **بلهرا** ثم الكمكم، ثم مملكة **كناية** ومملكة **الطوسول** و**الموشة** ومملكة **المابد**".

وقد ذكر **المسعودي**[3] جملة من أخبار الهند وتطرق في الشأن السياسي حيث تحدث على ملوك الهند وممالكها وقال: **البرهمن** نصبت لها ملكا وهو البرهمن الأكبر والملك الأعظم والإمام فيها المقدم، البراهمة: وولده يعرفون بالبراهمة إلى وقتنا هذا والهند تعظمهم، الباهيود بن البرهمن ولما هلك البراهمي جزعت عليه الهند جزعا شديدا وفزعت إلى نصب ملك عليها من أكبر ولده، زامان بعد الباهيود"، وهذه جملة من ملوك الهند التي ذكرها المسعودي استرسل في ذكر ملوك الهند وأشار إلى اختلاف أهل الهند وتعدد ملوكهم فتخربت الأحزاب وانفرد كل رئيس بناحية فملك ملك على أرض السند وملك يسمى بلهرا وهو أعظم ملوك الهند.

بالإضافة إلى هذا فإن **ابن حوقل**[4] أول ما تحدث عنه في هذا الجانب الأقليات الإسلامية التي تعيش داخل الممالك الهندية:" وكذلك كوغة اسم المملكة واسم من يملكها والغالب على هذه الناحية

---

[1] - مصدر سابق ، ص 46-49 .

[2] - مصدر سابق ، ص94.

[3] - مروج الذهب ، مصدر سابق ، ص 61-64.

[4] - **المسالك والممالك** ، مطبع بريل ، ليدن ، 1873م ، ص277.

الكفر وفيها المسلمون ولا يلي عليهم من قبل بلهرا الذي في زمننا إلا مسلم يستخلفه عليه والمسلمون لا يقبلون أن يحكم عليهم إلا مسلم ولا يتولى حدودهم ولايتهم عليهم شهادة إلا من دعواهم".

أما بالنسبة **للإصطخري**[1] فقد تحدث في هذا الصدد وقال:" ومملكة الهند منسوبة إلى الملك المقيم بقنوج"، وتحدث على الهنود المسلمين وقال: والمدن التي فيها المسلمون ولا يلي عليهم من قبل بلهرا إلا مسلم وبها مساجد يجتمع فيها التجمعات ".

كما تحدث أيضا **البكري**[2] عن ملوك الهند وذكرهم ومن بين من ذكر:" قد تملك **البرهمن** ثلاثمائة سنة وستين سنة، ثم ملك بعده **الباهيود** فسلك مسلك أبيه وملك مائة سنة"، كما تحدث كذلك عن ممالك وقال: وياضاف إلى مملكة الهند ملك الزابج وهي مملكة **المهراج** ملك الجزائر وهذه المملكة الفرق بين الهند والصين، ومعنى المهراج عندهم ملك الملوك ومن كبار ملوكهم ملك قمار والبرانية".

وتحدث **الإدريسي**[3] في هذا الصدد حيث قال:" وبجميع هذه الجزائر رئيس يحبهم ويذب عنهم ويحامي عليهم ويهادن على قدر طاقته وزوجته تحكم بين الناس وتكلهم ولا تستر عنهم والرئيس زوجها حاضر لا يتكلم فيما تأمر به من جميع أوامرها وتحكم النساء عندهم سيرة دائمة لا ينتقلون عنها واسم هذه المملكة مهرة"، كما ذكر أسماء الملوك والممالك حتى إنه تحدث عن ثروات الملوك فقال: وللملك صنم من ذهب لا يرى لما عليه من الدر والياقوت وأنواع الأحجار الثمينة وليس يملك أحد من ملوك الهند مثل ما يملك صاحب سرنديب من الدر النفيس وأنواع الأحجار الثمينة.

أما **المروزي**[4] فقد تحدث في كتابه عن ملوك الهند وممالكها حيث قال:" ملك يقال له **بلهرا** في بلاد يقال لها الكمكم وهي مملكة واسعة كثيرة الرجال من حوله والملوك ينقادون له"، وقال أيضا:"

---

[1] - مصدر سابق ، ص 9 .
[2] - مصدر سابق ، ص 246-249 .
[3] - مصدر سابق ، ص 69-72 .
[4] - مصدر سابق ، ص 34.

ثم يليه ملك يقال له **الجغرر** وفي مملكته عدل وأمن حتى لو طرح الذهب في وسط الطريق لا يجرأ أحد أن يأخذه وبلاده واسعة والتجار من بلاد العرب يقصدونهم في التجارات"، وقال أيضا: أن هؤلاء الملوك كلهم مخرموا الأذان.

وقال **الحميري**[1]: " وأعظم ملوك الهند البلهرا ومعناه ملك الملوك والهند سبعة أجناس أحدها الساكهرية وهم الأشراف منهم والملك يكون منهم".

كما أن الهنود على حد تعبير **سليمان التاجر**[2] كانوا يضعون أشد العقوبات للمخالفين للقانون حيث ذكر: أهل الهند في السرقة يقتلون السارق إذا سرق أخذوا خشبة طويلة فيحدد طرفها ثم يقعد عليها على أسته حتى يخرج من حلقه"، كما أنه تحدث عن علاقاتهم الخارجية مع الدول الأخرى فقال: "ومن ورائهم ملوك المابد، بلادهم تتصل بالصين وهم مصالحون لصاحب الصين غير أنهم لا يسمعون له وفي كل سنة يسارون إلى ملك الصين الهدايا وكذلك ملك الصين يهدي لهم وإذا دخلت رسل المابد إلى الصين حفظوا مخافة أن يتغلبوا على بلادهم لكثرتهم".

وإلى جانب هذا فإن **اليعقوبي**[3] في كتابه تحدث بشكل كبير عن الجانب السياسي حيث تحدث عن الملوك والممالك الهندية كما ذكر الاضطرابات السياسية التي حدثت داخل البلاد الهندية حيث قال:" قال أهل العلم أن أول الملوك الهند الذين اجتمعت إليه كلمتهم **برهمن** وهو أول ملك تكلم عن النجوم وأخذ عنه علمها"، وقال أيضا:" من ملوكهم فور وهو الذي غزا بلاده الإسكندر لما قتل ملك الفرس وغلب على أرض العراق وما ولاها"، وقال أيضا:" زمن ملوكهم ديلشم وهو الذي وضع في عصره كتاب كليلة ودمنة وكان الذي وضعه بيدبا حكيم من حكمائهم وجعله مثال يعتبرها ويتفهمها ذو العقول ويتأدبون بها".

---

[1] - مصدر سابق ، ص 597.

[2] - مصدر سابق ، ص 58 .

[3] - مصدر سابق ، ص 92،93.

كما ذهب **ابن رسته**[1] في الحديث في هذا الجانب حيث تحدث عن الحكم والإدارة في بلاد الهند وقال: ويذكر بعضهم لقد كنت ببلاد دقار فأخبروني أن الملك بها حَيّار شديد العقوبة لا يكلم العرب ومن دخل بلادهم فأهدى له شيئا كافاه بأضعاب ما أهدى له يكافي بالجزء مائة جزء"، ربما أراد ابن رسته من خلال هذا أن يبرز توتر علاقات هذه المملكة مع دار الإسلام، وبالإضافة إلى هذا ذكر ابن رسته ملوك الهنود وقال: وملكا يقال له **الصيلمان** يقولون أن جيشه نحو سبعين ألف وله فيلة قليلة"، وقال أيضا:" وملك يقال له **المهراج** وتفسير المهراج ملك الملوك وليس بعد في ملوك الهند أعظم منه ولا يعلم ملك أكثر خيرا منه ولا أقوى وأكثر دخلا".

كما تحدث **البكري**[2] عن القوانين والعقوبات وقال: ورياسهم وسياستهم صحيحة هم يمنعون من شرب المسكر ويبيعون شاربه، وإذا صح عندهم ذلك من ملك من ملوكهم استحق عنهم الخلع، وقال من عقوبة ملك القمار على شرب الخمر تحمى مائة حلقة من حديد بالنار ثم توضع على بدن الرجل أتلفت نفسه.

أما الجانب العسكري لم يهتم الرحالة والجغرافيون بالتحدث عنه إلا في أمور نادرة كالتحدث عن الجيوش والفيلة، وقد تحدث **سليمان التاجر**[3] عن ذلك فقال: جنود ملك الهند كثيرة ولا يمرزقون وإنما يدعوهم الملك إلى الجهاد فيخرجون ينفقون من أموالهم ليس على الملك من ذلك شيء.

لقد ركزت المصادر على ذكر الممالك الهندية وملوكها بالإضافة إلى بعض القوانين والتشريعات التي سنتها هذه الممالك.

كما ذكرت التقسيمات السياسية حيث ذكر **محمود شاكر**[4] سيطرة البراهمة على مقاليد الحكم كما ذكر أحوال السند الداخلية في العهد العباسي باعتبارها كانت إمارة إسلامية.

---

[1] - مصدر سابق ، ص 134-135 .

[2] - مصدر سابق ، ص249 .

[3] - مصدر سابق ، ص58.

[4] - **التاريخ الإسلامي**، ط$_2$، المكتب الإسلامي، بيروت، 1418-1997م، ص9.

وفيما يخص السند فلم تذكر بشكل مستقل وربما يعود ذلك إلى اعتبارها جزء مرتبط ببلاد الهند، والمراجع التي تطرقت لذكرها لم تركز على أوضاعها السياسية بل اهتمت بالفتح الإسلامي لهذه الأقاليم، وقد تحدث **محمد نصر عبد الرحمن**[1] أنه خلال القرن الرابع الهجري زار ابن حوقل بلاد السند ولم يشر للوجود الشيعي الذي كان في تلك الفترة في ظل سيطرة الفاطميين آنذاك وربما يرجع ذلك لميوله ونزعته الشيعية.

[1] - **الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى**، ط$_1$، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، د.س، ص96.

المبحث الثالث: الأنشطة الاقتصادية لبلاد الهند والسند:

1 - الزراعة:

تحدثت كتب الرحلة والجغرافيا عن مختلف الأنشطة الاقتصادية التي يمارسها أهل الهند وعلى رأسها الزراعة وذكروا مختلف المنتجات الزراعية في بلاد الهند فتحدث عنها **اليعقوبي**[1] وذكر:" المسك الهندي وهو ما يقع إلى الدبلي ثم يجهز في البحر وأفضل المسك ينبت في قشمير"،" والعنبر الشجري: أجود أنواع العنبر وأرفعه وأفضله وأحسنه لونا وأصفاه جوهرا وأغلاه قيمة، "وأما السنبل الهندي فقد قال أحمد بن أبي يعقوب السنبل الهندي سنبل الطيب وسنبل العصافير والناردين والسنبل أصناف وأجوده العصافير الحمر الألوان المسلل".

وتحدث **الثعالبي**[2] عن عود الهند قال:" خير العود الهندي المندلي وكلما كان أصلب فهو أجود وامتحان جودته إذا كانت فيه رطوبة".

أما **الإدريسي**[3] فقد تحدث عن الزراعة والمنتجات الزراعية فقال:" وفي هذه الجزيرة زرع نارجيل وقصب السكري والتانبول وهو أكثر ما ينبت في هذه الجزيرة والتانبول شجر ساقه مثل ساق العريش ويتلوى ويتعلق بما جاوره من شجر وله أوراق مثل ورق الرند"، وقال أيضا:" ولأهل سرنديب نظر في زراعة النارجيل في تلك الجزائر الصغار التي على طرفها ويقومون بحفظه ويبيعونه للصادر والوارد".

بالإضافة إلى ذلك فإن **القزويني**[4] يعد من أهم من تحدث عن الزراعة في بلاد الهند وعن المحاصيل الزراعية ، حيث تحدث عن فلفل وقال:" هي شجرة تنبت بناهية الهند منها تسمي مليار وهي شجرة عالية لا يزال الماء تحتها فإذا هبت ريح تساقطت على وجه الماء فيجمع منه ... وذكر من رآها وشراخه في طول الأصبع"، كما تحدث عن القرنفل وقال: شجرة تنبت في بعض جزائر

---

[1] - مصدر سابق ، ص 212،213.

[2] - مصدر سابق ، ص 225.

[3] - مصدر سابق ، ص 71-75 .

[4] - **عجائب المخلوقات** ، مصدر سابق ، ص 273-275 .

الهند ثمرها كالياسمين إلا أنها أشد سواط وذكروا أن أهل تلك الجزيرة لا يخرجونها إلا مطبوخة"، وتحدث عن الكافور وقال:" شجرة كبيرة هندية يألفها النسر تظل خلقا كثيرا لا يصل إليها الناس إلا في وقت من السنة معلوم وهي سفحية بحرية خشبها أبيض هش خفيف صمغها يسيل من أسفل الشجرة"، وبالإضافة إلى هذا ذكر النارجيل وشجرة كسيوس.

أما **ابن بطوطة**[1] فقد ذكر الكثير من الأشجار وقد تم ذكرها مسبقا أما في جانب الزراعة فقد قال:" أهل الهند يزرعون مرتين في السنة فإذا نزل عندهم المطر في أوان القيظ زرعوا الزرع الخريفي عندهم"، وقال أيضا:" بلادهم كريمة طيبة التربة أما الأرز فيزرعونه ثلاث مرات في السنة وهي أكبر حبوب عندهم ويزرعون السمسم وقصب السكري مع الحبوب الخريفية"، وأما عن المحاصيل الزراعية، الكُنْدُوْر: وهو نوع من الدخن وهو أكثر نوع الحبوب عندهم"،" الشامخ وهو أصغر حبا من القال، ربما بنبت من غير زراعة، وهو طعام الصالحين وأهل الورع والفقراء والمساكين"، بالإضافة " إلى الماش وهو نوع من الجلبان.

2 – الصناعة:

أما عن الصناعة فقد تكلم عنها **البكري**[2] وقال:" ويقال إن عدد الغسالين والصناع بعسكره خمسة عشر ألفا"، وقال أيضا: كلها تذيب الحديد وتمحق مسامير السفن فلا تزال تندق وإنما يتخذوا أهلها سفنهم من الساج المحيطة بليف النارجيل بدلا من المسامير"، وذكر أيضا البرهمن الأول من صنع السيوف والآلات الحرب ورشيد الهياكل ورصعها بالجواهر".

هذا وقد تحدث **الإدريسي**[3] عن الحرف التي يعمل بها الهنود وقال:" وجودة الصنعة وإحكام السبك والضرب وحسن الصقل والجلاء ولا يوجد شيء من حديد أمضى من الحديد الهندي وهذا شيء مشهور"، وقال أيضا:" وفي هذه الجزيرة تصنع ثياب الحشيش وهذا الحشيش هو نبات يشبه نبات البردي وهو القرطاس وسمي بذلك لأن أهل مصر يعملون منه القراطيس، فيأخذ الصناع منه

[1] - مصدر سابق ، ص 420،421.
[2] - مصدر سابق ، ص 193،194.
[3] - مصدر سابق ، ص 68-72 .

أطيبه ويتخذون منه ثيابا مثل ثياب الديباج بألوان حسنة وتخرج هذه الثياب إلى سائر بلاد الهند وربما وصلت إلى اليمن"، بالإضافة إلى ذكره لصناعة السفن.

فيما ذهب **الثعالبي**[1] في حديثه عن صناعة في بلاد الهند وتحدث عن سيوف الهند وقال:" يضرب بها المثل في الجودة والصفاء يقال: إن السيف إذا كان من صنع الهند ومن طبع اليمن فناهيك به".

3 – التجارة :

وتحدث عنها **سليمان التاجر**[2] وقال: يخرج رجالهم من الجزيرة في زواريق منقورة من خشبة واحدة ومعهم نارجيل وسكر، فيبيعون ذلك بالحديد، وقال أيضا:" فإذا مرت بهم المراكب جاؤوا إليها بالقوارب الصغار والكبار وبايعوا أهلها العنبر والنارجيل بالحديد وما يحتاجون إليه من كسوة لأنه لا حر عندهم ولا برد"، كما أنه تحدث عن الطرق التجارية وقال: فتخطف المراكب منها إلى الهند وتقصد إلى كوكم ملي والمسافة من مسقط إلى كوكم ملي شهر على اهترال الرتح".

أما **الإدريسي**[3] فقد تحدث عن التجارة في بلاد الهند وقال:" التجار يدخلون إلى هذه الجزيرة بالمراكب الكبار والصغار"، وقال أيضا:" تجار بلاد المهراج يدخلون إليهم ويجالسونهم ويتجرون منهم".

وأما عن **الزهري**[4] فقد أورد في هذا الصدد: من بلاد اليمن وأكثر زينتهم السلجم وزيت السمسم، ويجلب إليهم كثير من التمر والزيت من بلاد العراق وبلاد اليمن ويجلب إليهم من بلاد الحبشة كثير من طعام الحبشة.

---

[1] - مصدر سابق ، ص 429-430 .

[2] - مصدر سابق ، ص 33-38 .

[3] - مصدر سابق ، ص 77-80.

[4] - مصدر سابق ، ص 33.

لقد كانت الموانيء الهندية قليلة بحكم الطبيعة الجغرافية، ولعل أهمها ميناء ديبل في السند والذي يعد من أهم المراكز التجارية فيها لذلك كان مرفأ هام في طريق السفن الهندية والصينية، وميناء صيمور الذي احتل مكانة متميزة كمركز تجاري، بالإضافة إلى ميناء كولم الذي احتل هو الآخر مكانة متميزة باعتباره ميناء الجنوب الرئيسي الذي تقصده السفن للتزود بالمؤن قبل الولوج للجانب الشرقي من الهند[1].

وفيما يخص السفن فعلى الرغم من أن كتب الرحالة والجغرافيين وصفت تلك السفن وصفا جيدا إلى حد ما إلا أنهم أغفلوا تحليل ظاهرة هامة كانت واضحة في طريقة بناء السفن، وهي طريقة الخياطة المستخدمة في سفن المحيط وانفراد المحيط الهندي حتى بحر الصين شرقا بهذا الأسلوب في صناعة السفن، والملاحظ أن أحدا منهم لم يحاول أن يسأل أو يستقصي عن سبب ذلك، كما نلاحظ من روايتهم، مع العلم بأن استخدام أسلوب الخياطة في صناعة السفن أصعب تأثيرا من استخدام المسامير وتحتاج السفينة المخيطة أضعاف الوقت الذي تحتاجه السفينة المسمارية[2].

[1] - محمد نصر عبد الرحمن، مرجع سابق، ص120.

[2] - شوقي عبد القوي عثمان، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41-661/904-1498م)**، دار المعرفة، الكويت، 1990، ص83.

المبحث الرابع: الحياة الاجتماعية والدينية:

1 – الحياة الاجتماعية:

– اللغة:

تحدث **سليمان التاجر**[1] عن لغة سكان بعض الجزر المتصلة بالهند وقال:" لا يفهمون لغة العرب ولا ما يعرفه التجار من لغات" وقال أيضا:" وإنما يبايعون بالإشارة يدا بيد إذ كانوا لا يفهمون اللغة"، من هنا يمكن استنباط أن لغة الهنود هي لغة غريبة عن بلاد الإسلام، وقال أيضا"، لا أعلم أحد من الفريقين مسلما ويتكلم العربية".

وتحدث في هذا الصدد **الإدريسي**[2]:" وكلامهم نوع من الصفير وهم عراة ولا يسترون بشيء".

– اللباس:

أما عن لباسهم فقد تحدث **سليمان التاجر**[3]،" وفيها خلق كثير عرة الرجال منهم والنساء غير أن عورة المرأة ورق من ورق الشجر" وقال أيضا " وهم قوم سمر يلبس كل واحد منهم فوطتين، أهل الصنف وفي جزيرة ملجان قوم سودان عراة" أما الحلي عندهم فقد قال: أهل السند أشبه بالعرب في اللباس والدواب ... وأهل الهند يلبسون فوطتين ويتحلون بإسورة الذهب والجوهر نساء ورجال".

وذهب **ابن الفقيه**[4] إلى ذلك فقال: يلبسون القرطين ويتحلون بأسورة الذهب الرجال والنساء".

بالإضافة إلى ذلك تحدث **البكري**[5] عن اللباس والحلي وتحدث حتى على لباس الملوك حيث قال:" ملوكهم يلبسون الحلي والجزهر الفاخر والأسورة والقلائد والوسناغ مثل النساء.

---

[1] - مصدر سابق ، ص 89.

[2] - مصدر سابق ، ص 80.

[3] - مصدر سابق ، ص 33،34.

[4] - مصدر سابق ، ص 71.

[5] - مصدر سابق ، ص 247.

أما عن **الإدريسي**[1] فقال ونساء هذه الجزيرة (الذبل والذبل) يمشين مكشوفات الرأس مضفورات الشعر والمرأة الواحدة تمسك في شعرها عشرة أمشاط وأقل وأكثر وهي حليتهن"، وقال أيضا:" أهلها عراة لا يستترون بشيء من الثياب لكنهم يستترون بأيديهم"، وقال عن لباس الملوك:" تلبس الملكة حلة الذهب المنسوج وتحمل على رأسها تاج الذهب المكلل بالأحجار النفيسة وتجعل في رجليها نعل من ذهب".

و**المروزي**[2] قال: وملوك الهند كلهم يلبسون الحلي والجواهر والقلائد والإسورة والوشاحين.

- الطعام:

أما عن أكلهم فقد تحدث الرحالة والجغرافيين العرب عن هذا الجانب: حيث تحدث عنها **سليمان التاجر**[3]، "أهلها يأكلون الناس أحياء"، وقال ما أرادوا أكله ويضربون هامته حتى الموت ".

كما تحدث **ابن الفقيه**[4] عن طعامهم فقال: الهند لا يأكلون الحنطة، إنما يأكلون الأرز ويمنعون في الملازمة الطعام والشراب سبعة أيام، وأهل الهند يقتلون ما أرادو أكله ولا يذبحونه ولا يأكلون حتى يستانوا ويغسلوا".

أما بالنسبة **للبكري**[5] فقال:" فكان البراهمة على مر السنين لا يتغذون بشيء من الحيوان ولا يشربون الخمر ولا الأنبذة".

أما عن **الإدريسي**[6] فقد قال: وطعام أهلها الموز والسمك الطري والنارجيل وقال أيضا:" أكلهم السلاحف البحرية ولحوم الصدف وعندهم الذرة قليلة".

---

[1] - مصدر سابق ، ص 69،70.
[2] - مصدر سابق ، ص 37.
[3] - مصدر سابق ، ص 34.
[4] - مصدر سابق ، ص 71.
[5] - مصدر سابق ، ص 243.
[6] - مصدر سابق ، ص 79.

هذا وتحدث **الزهري**[1] في هذا الصدد فقال: "وأكثر طعامهم القمح وبما بلغ عندهم قليل من زيت الزيتون أحيانا".

- الزواج:

بالإضافة إلى تلك المظاهر الاجتماعية التي سبق ذكرها الزواج الذي يعتبر من ضروريات الحياة الإنسانية، فإن **سليمان التاجر**[2] تحدث عن الزواج في بلاد الهند حيث قال:" وإذا أراد أحد يتزواج لم يزوج إلا بقحف رأس رجل من أعدائهم إذا قتل اثنين زوج اثنتين وكذلك إذا قتل خمسين زوج خمسين امرأة"، وقال أيضا:" ليس لأهل الهند فرش ويتزوج الرجل من الهند ما شاء من النساء"، بالإضافة إلى أنهم كانوا يستنكرون الزنا على حد تعبير سليمان التاجر حيث قال:" إذا أحضر الرجل منهم امرأة فبغت فعليها وعليه بها القتل وإذا زنى الرجل بامرأة اغتصبها نفسها قتل الرجل وحده وإذا فجر بامرأة برضى منها قتلا جميعا"، أما عن طرق الاحتفال بحفلات الزواج فقال أيضا:" أهل الهند إذا أرادوا الزواج تهانوا فيما بينهم ثم تهادوا ثم يشهرون الزواج بالصنوج والطبول وهديتهم من المال على قدر الإمكان ".

أما **الإدريسي**[3] في حديثه عن النكاح فقال: لا يسترون في النكاح بل يأتونه جهرا ولا يرون بذلك باسا وربما فعل الرجل ذلك ببنته أو أخته ليس يرى بذلك عارا ولا قبحا "، أما عن الختان فإنهم لا يختتنون.

- تشيع الجنازات:

وفي هذا الصدد قال **سليمان التاجر**[4] إذا مات الملك ببلاد سير على عجلة قريبا من الأرض وعلق في مؤخرتها مستلقيا على قفاه يجر رأسه على التراب وامرأة بيدها مكنسة تنادي أيها الناس هذا ملككم بالأمس قد ملككم وكان أمره نافذ اخيكم وقد صار إلى ما ترون وترك الدنيا وأخذ روحه

[1] - مصدر سابق ، ص 33.
[2] - مصدر سابق ، ص 57.
[3] - مصدر سابق ، ص 78.
[4] - مصدر سابق ، ص55.

ملك الموت ولا تغترون بالحياة بعده ذلك ثلاثة أيام ثم يهيأ له الصندل والكافور والزعفران فيحرق به ثم يرمي برماده في الريح والهند كلهم يحرقون موتاهم بالنار ، ربما أحرق الملك فتدخل نساؤه النار فيحترقن معه وإن شئن لم يفعلن".

و**الإدريسي**[1] كذلك قال إنهم يحرقون موتاهم، بالإضافة إلى **ابن بطوطة**[2] أقر بذلك وقال أنهم يحرقون أمواتهم ويرمون رمادهم في نهر كنك.

_ الأعياد والاحتفالات:

بالإضافة إلى ذلك فإن للهنود أعياد واحتفالات حيث قال **البكري**[3]:" وتليها الجزيرة التي يسمع منها على الدوام الأيام أصوات الطبول والسرنابات والعيدان وسائر أنواع الملاهي وأنواع الرقص والتصفيق يفهم ويميز بعض ذلك من بعض"، وأما عن الألعاب والتسالي: "وصنعت في أيام الملك بلهيت الشطرنج وفي الشطرنج سر يسرونه في تضاعيف حسابها".

وقال عنها **الإدريسي**[4]:" ولعب أهل سرنديب الشطرنج والنرد والقمار بأنواعه".

– سكان أهل الهند:

قام الرحالة والجغرافيون العرب بالحديث عن المجتمع الهندي عن الصفات الجسمية للهنود وطبقات المجتمع فقد قال عنهم **سليمان التاجر**[5]: "هم سود ملفلفوا الشعر مناكير الوجوه والأعين طوال الأرجل قدم أحدهم مثل الذراع".

[1] - مصدر سابق ، ص 75.
[2]- مصدر سابق ، ص 474.
[3] - مصدر سابق ، ص 193.
[4] - مصدر سابق ، ص 77.
[5] - مصدر سابق ، ص 39.

وأما **ابن خرداذبة**[1] فقال عن الهنود أنهم سبعة أجناس وهم **الشاكثرية** وهم أشرافهم فيهم الملك، **البراهمة** وهم لا يشربون الخمر والأنبذة و**الكستزية** يشربون ثلثة أقداح فقط، **الشودرية** وهم أصحاب اللهو واللحن، وفي نسائهم جمال، **والذنبة** وهم سمر أصحاب لهو ومعارف ولعب.

وذكرهم **الإدريسي**[2] فقال عنهم في غياض الجزيرة ناس عراة لا يفهم كلامهم وهم يستوحشون من الناس وطول الرجل الواحدة أربعة أشبار، وشعورهم زغب أحمر يتعلقون على الأشجار بأيديهم"، وقال أيضا:" قوم سود مناكير الوجوه ملفلفوا الشعر طوال الأعناق والسوق مسوهون جدا".

أما **المروزي**[3] فتطابق مع ابن خرداذبة في ذكر أجناس أهل الهند، وأما **القزويني**[4] فقد تحدث عن أصل ونسب أهل الهند فقال:" والهند والسند كانا أخوين من ولد توقبر بن يقطن بن حام بن نوح عليه السلام.

2- الحياة الدينية:

وكأي الشعوب الأخرى فإن للهنود حياة دينية لأن الذين هو بمثابة غذاء الروح وقد تحدث الرحالة والجغرافيون عن الدين في بلاد الهند فتحدث عنها **اليعقوبي**[5] وقال: ودين أهل الهند البرهمية وفيهم عبدة الأصنام ولهم ممالك مختلفة وملوك متفرقة لسعة البلد، **والإصطخري**[6] قال:" ومن كنباية إلى صيمور من بلد بلهرا هي بلاد كفر إلا أن هذه المدن فيها مسلمون".

وأما **صاعد الأندلسي**[7] قال:" وأما العلم الإلهي فهم مجتمعون منه على التوحيد لله عز وجل والتنزيه له عن الإشراك به ثم هم مختلفون في سائر أنواعه فمنهم البراهمة ومنهم الصابئة، وتعظم الكواكب وتصور صور لها تمثلها وتتقرب إليها"، وقال أيضا:" وأما الصابئة وهم جمهور الهند

---

[1] - مصدر سابق ، ص 26،27 .

[2] - مصدر سابق ، ص 76.

[3] - مصدر سابق ، ص 26،27.

[4] - **عجائب المخلوقات** ، مصدر سابق ، ص 127.

[5] - مصدر سابق ، ص 106.

[6] - مصدر سابق ، ص 173.

[7] - مصدر سابق ، ص12.

ومعظمها فإنها تقول بأزل العالم وأنه معلول بذات علة العالم التي هي البارئ عز وجل وتعظم الكواكب وتصور صور لها تمثلها وتتقرب إليها".

بالإضافة إلى ديانة أهل الهند كان للهنود الكثير من المعتقدات التي يؤمن بها أهل الهند وقد تحدث عنها الرحالة والجغرافيون، وقد تحدث عن ذلك **اليعقوبي**[1] وذكر إيمانهم بالأبراج حيث جعلوا أن أيام الشهر ثلاثون يوما ومعناها لكل برج ثلاثون درجة والأيام سبعة معناها كواكب سبعة حتى صار لأهل الهند يجري أمورها بما يدبره الكواكب السبعة"، وأما **ابن رسته**[2] تحدث عن شرب الخمر عندهم لم يكن مباحا وعقوبة شارب الخمر القتل بالإضافة إلى الزنا.

وذكر **ابن الفقيه**[3] بعض أصنامهم وقال:" أهل الهند وقفوا الجواري على البُدْ[4]، للزنا وذلك عند سلفتهم لا عند أهل التتميز" وقال أن الهند تبيع الزنا، وتحدث أيضا **المسعودي**[5] عن منع شرب الخمر في الهند وتعنيف شاربه.

وفي نفس السياق تحدث **المروزي**[6] فقد تحدث عن الملل في بلاد الهند فقال: فأما الملل والأهواء التي في هذه الأجناس فمنهم تسع وتسعون فرقة يجمعها اثنان وأربعون مذهبا فمنهم من يثبت الخلاق ويعترف بالأنبياء ومنهم من يثبت الثواب والعقاب ومنهم من قال إن الثواب والعقاب والتناسخ في السعادة والشقاوة والجنة والنار على قدر العمل بلا دوام".

كذلك تحدث **الزهري**[7] عن دين أهل الهند وقال:" فأما أديانهم فينشرعون بدين المجوسية يعبدون النار ولا يذبحون حيوانا ويأكلون لها، وإنما يأكلون من الحيوان البيض ويشربون اللبن، وقال: فأما ما قرب منهم إلى بلاد اليمن فيتشرعون بدين النصرانية، وأما الذين هم في جزائر البحر فيتشرعون

---

[1] - مصدر سابق ، ص 95،96 .

[2] - مصدر سابق ، ص 133.

[3] - مصدر سابق ، ص 69،70.

[4] - **البُد**: بيت فيه أصنام وتصاوير وهو إعراب بالفارسية يقال البد الصنم نفسه الذي يعبد / ابن منظور، مج3، مصدر سابق، ص82.

[5] - **مروج الذهب** ، مصدر سابق ، ص 255.

[6] - مصدر سابق ، ص 28.

[7] - مصدر سابق ، ص 33،34.

بدين المجوسية فمنهم من يعبد النار ومنهم من يعبد الشمس فأما الذين يعبدون النار فلا يأكلون اللحم ولا يذبحون حيوانا، فأما الذين يعبدون الشمس فيأكلون اللحم ولا يتناكحون في الأقارب".

وتحدث **أبو حامد الأندلسي**[1] عن الدين فقال:" أهل الهند يعبدون الأصنام ولا يأكلون الحيوان ولا ما يخرج من الحيوان كالعسل واللبن ويحرمون على المسلمين ذبح البقر".

أما **البكري**[2] فقد ذكر في هذا الصدد وقال:" ومن مذاهبهم أن ما ينالهم من النعيم في المستقبل مؤجلا هو بقدر ما تعذب به أنفسهم في هذه الدار معجلا"، كما ذكر أن الهنود أيضا يزعمون أن البرهمن هو آدم عليه السلام.

وقد ذكر **الإدريسي**[3] صلاتهم فقال:" صلاتهم في هذه الكنائس إما تكون غناء وتلحينا وتصفيقا لطيف بالكف ودفن الجواري الحسان في شعورهم ولعبهن بأنواع من الخف والتخلع وذلك يكون بين أيدي المصلين".

تحدث **المروزي**[4] عن هذا وقال أن البراهمة زعموا أن الله أرسل إليهم ملك من الملائكة يقال له باسيوا أتاهم في صورة بشر وإنهم يأخذون على شكله صنما يعبدونه ويطوفون به كل يوم ثلاث مرات وأن يعبدوا البقر ويسجدوا لها.

لم يصل الباحثون لأصل سكان الهند على وجه التحقيق، وإن كان الثابت المعروف أنه قد ورد على شبه القارة موجات متتابعة من هجرات أجناس مختلفة، وكما تتغاير الهند في أجوائها تغايرا واسع المدى فهي كذلك تختلف في أجناسها اختلافا بيّنا شديد الوضوح، ففي مناطقها الشمالية يعيش جماعات لهم سمات الشعوب الشمالية ونشاطها في الغالب، وبجانبهم أقوام آخرون لهم،

---

[1] - مصدر سابق ، ص 46.
[2] - مصدر سابق ، ص194.
[3] - مصدر سابق ، ص 82.
[4] - مصدر سابق ، ص 28،29.

خصوصا في الوسط والجنوب، وأقدم سكان الهند في الغالب قوم سود لهم سمات الأجناس الحامية قطنوا الغابات ولا تزال منهم بقايا منقرضة منعزلة تسكن وسط الهند حتي اليوم[1].

كما ذكر **أحمد شلبي**[2] أن السكان في الهند خليط من الأجناس ففيهم البيض والزنوج السود والفر التورانيين، وكانوا يعبدون البقرة ويصلون لها ووجب عليهم حمايتها.

وقد كان الهنود يعتقدون بأن التمثال الموجود بالملتان قد نزل من السماء وأنهم أمروا بعبادته لذلك كانوا يحجون إليه من كل فج عميق، وتبدأ طقوس الحج بحلق الرأس عند المعبد ثم الطواف يسار التمثال سبع مرات تقربا إليه، ثم تقدم القرابين والذبائح، وبلغ من تقديس الهنود للتمثال أن بعضهم كان يقدم على قتل نفسه تقربا له[3].

---

[1] - أحمد محمود الساداتي، مرجع سابق، ص8.

[2] - **أديان الهند الكبرى**، ط$_{11}$، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1974م، ص25.

[3] - محمد نصر عبد الرحمن، مرجع سابق، ص91.

المبحث الخامس: الحياة الثقافية والعمرانية لبلاد الهند والسند:

1 – الحياة الثقافية :

عرف أهل الهند بمختلف العلوم والمعارف خاصة فيما تعق بعلم الكواكب وقد صور لنا كتب الرحالة والجغرافية مختلف العلوم وتحدث **اليعقوبي**[1] عن ذلك حيث قال:" والهند أصحاب حكمة ونظرهم يفوقون الناس في كل حكمة فقولهم في النجوم أصح الأقاويل، وقولهم في الطب المقدم ولهم فيه الكتاب الذي يسمى سندهند فيه علامات الأدواء ومعرفة علاجها وأدويتها، ولهم غير ذلك من الكتب في الطب ولهم في المنطق والفلسفة كتب كثيرة في أصول العلم منها كتاب طوق" وقال أيضا: " في علم حدود المنطق وكتاب ما تفوت فيه فلاسفة الهند والروم ولهم كتب كثيرة يطول ذكرها ويبعد عرضها ".

وقال أيضا **المسعودي**[2] أن للهنود كتاب صور الأفلاك والبروج الاثنا عشر والكواكب وبين الصورة كيفية العالم ،وقرب إلى العقول العوام فهم ذلك وأشار إلى المبدأ الأول المعطي سائر الموجودات.

كما تحدث **البيروني**[3] عن علوم أهل الهند وتحدث عن الحساب والتواريخ وقال: " في تواريخ الهند واستخراجها من التواريخ الثلاثة، والوقت بلغة الهند كال"، بالإضافة إلى هذا فإنه تحدث عن كيفية حساب السنوات بالإضافة إلى برعهم في علم الكواكب والنجوم.

أما **صاعد الأندلسي**[4] فقد تحدث عن العلم في الهند وأقر لها بالحكمة واعترف لها بالتبرز في فنون المعارف جميع الملوك السالفة والقرون الماضية فكان الهند عند جميع الأمم على ممر الدهور وتقادم الأزمان معنى الحكمة وينبوع العدل والسياسة وأهل الأحلام الراجحة الأراء الفاضلة والأمثال السائرة والنتائج العربية واللطائف العجيبة"، وذكر من كتبهم التي وصلت إلينا في

[1] - مصدر سابق، ص 105.

[2] - مصدر سابق، ص 61.

[3] - **القانون المسعودي**، ط1، مجلس دائرة المعارف، حيدر أباد، 1373هـ - 1954 م، ج[1]، ص 172،173.

[4] - مصدر سابق، ص 11-14.

الموسيقى كتاب ناقر فيه أصول البحوث وجوامع تأليف النغم، كتاب كليلة ودمنة وفي العدد والحساب كتاب الغبار وبسيطة أبو جعفر بن موسى الخوارزمي.

وقال عنهم **المروزي**[1]:" أما آدابهم وعلومهم فمنها الرقي يزعمون أنهم يدركون بها ما أرادو".

2 – الجانب العمراني :

وفي هذا الجانب تحدث الرحالة والجغرافيون عنها حيث قال **سليمان التاجر**[2] " حيطان أهل الهند حجارة وجص آجر وطين كذلك ربما كان بالصين أيضا"، وتحدث **ابن حوقل**[3] عن ذلك:" وبلاد بلهرا المساجد تجمع فيها الجمعيات ويقام سائرها الصلوات بالأذان في المنار والإعلان بالتكبير والتهليل وهي مملكة عريضة ".

وذكر **البكري**[4] مدينة فقال: ومدينة بيجور يحيط بها سوران ولها أربعة أبواب باب من جهة الجنوب يقال لها باب البلانج وعندهم صهريج يجتمع فيه الماء من المطر وباب يعرف بباب هوتسه وهذا الباب يخرج منه النصارى بصلبانهم والثالث باب الفصيل هو الذي يدخل منه الملك وحرمه والباب الرابع باب العشور وهو الذي يعشر فيه أمتعة التجار.

أما **الإدريسي**[5] فقد ذكر:" البد هي الكنائس بلغة الهنود والبد حسن البناء حسن الصنعة وقد كلفت جميع جوانبه بالرخام وداخل البد يحيط به من كل جهة الأصنام مصنوعة من حجارة الرخام الأبيض وعلى رؤوسها التيجان المكللة وعليها الحلل وسائر الثياب المنسوجة من الذهب ونحوه"، كما ذكر الكثير من المدن منها مدينة البروج فهي مدينة جليلة جميلة حسنة البناء بناؤها الآجر والحص مدينة البروج دولفة: على نهر يصل إلى البحر، مدينة نهر وارة وهي مدينة عظيمة ملكها

---

[1] - مصدر سابق، ص 27.

[2] - مصدر سابق، ص 57.

[3] - مصدر سابق، ص 277.

[4] - مصدر سابق، ص 248.

[5] - مصدر سابق، ص 81.

يسمى بلهرا وعبادته صنم البد، مدينة سمندر مدينة واسعة المتاجر كثيرة المنافع ومدينة قندهار مدينة كبيرة القطر كثيرة الخلق.

وتحدث **القزويني**[1] عن هذا الجانب وقال: بأرض الهند هيكل عظيم عندهم يقال له بلاذري ليس لهم هيكل أعظم منه، له بلد قد وقف عليه وحوله ألف مقصورة فيها جوار موقوفة على صنم لمن جاءه زائر، ومن جاء سجد له وأقام في ضيافته ثلاثا وبات عند جواريه ثم رجع.

أما **ابن بطوطة**[2] تحدث عن المدن وذكر مدينة أجودهن ومدينة أبوهر وتحدث موسعا عن مدينة دهلي هي قاعدة الهند مدينة عظيمة الشأن ضخمة لها سور لا يعلم له في بلاد الدنيا نظير كبيرة الساحة كثيرة العمارة، عرض حائط سورها أحد عشر ذراعا فيها بيوت ومخازن زلها بابا وبخارجها مصلى وبعض المقابر، وتحدث عن جامعها قال: كبير الساحة، حيطانه وسقفه وفرشه كل ذلك من الحجارة البيض المنحوتة أبدع النحت، أبوابه كبيرة وله صحن وصومعة سامية الارتفاع، وبخارج دهلي حوضين أحدهما الحوض العظيم المنسوب إلى السلطان شمس الدين للميش ومنه يشرب أهل المدينة، طوله نحو ميلين وعرضه نصف طوله والحوض الثاني يقع بين دهلي ودار الخلافة حوض خاص وهو أكبر من الحوض الأول وعلى جوانبه أربعين قبة ويسكن حوله أهل الطرب ويسمى موضعهم طرب أباد"، كما ذكر بعض الزارات ومنها قبر الشيخ الصالح قطب الدين بختار الكعكبي، قبر الفقيه الفاضل نور الدين الكرلاتي.

---

[1] - **آثار البلاد**، مصدر سابق، ص 130.

[2] - مصدر سابق، ص 425،426.

خلاصة :

مما سبق ذكره نجد أن الرحالة المسلمين في مختلف الأزمنة حاولوا إعطاء صورة عن الامتداد الجغرافي للهند والسند مع تحديد الأقاليم المجاورة لها، مع محاولة تحديد المسافات من خلال المسيرة، وهذا ما يوضح نوع من النضج الفكري الذي يعكس واقع التصور الذي حققه العالم الإسلامي في ذلك العصر.

كما كونت صورة واضحة ودقيقة حول التضاريس من جبال وأنهار وبحار وقد بينت لنا كتب الرحلة والجغرافية في معرفة الحياة الاجتماعية من عادات وتقاليد ولباس وحياة المجتمع السائدة ونوعية طعامهم وشرابهم ومعتقداتهم.

كما أورد الرحالة والجغرافيون شكل الحياة السياسية، حيث ذكروا أهم الممالك الهندية، كما وساهمت في تغطية جوانب كثيرة من التاريخ السياسي.

الخاتمة

تلقي هذه الدراسة الضوء عن مساهمة الرحالة المسلمين في كتابة جزء هام من الجغرافية التاريخية لمنطقة الشرق الآسيوي، لاسيما الصين والهند من خلال مختارات من أدب الرحلة والجغرافيا، حول جوانب من حضارة هاتين المنطقتين، وقد استخلصنا من بحثنا هذا جملة من الاستنتاجات التي يمكن حصرها فيما يلي:

لقد كانت الرحلة عونا كبيرا لعمل المؤرخين والجغرافيين على حد سواء، بتأكيدها الواقع عن طريق المشاهدة والمعاينة، لذلك اختارها معظمهم منهجا وضرورة علمية وبهذا ساهم الرحالة والجغرافي في توسيع مداركنا حول مجتمعات الشرق الأقصى، بفضل ما أوردوه من معلومات عن طريق اتصالهما بالبلدان والأقوام، ومجاورتهما للعلماء وأصحاب المعرفة بثقافات البشر وتقلبات الأحوال على مر الزمان والمكان.

وقد اثبت الرحالة والجغرافيون المسلمون أمثال المسعودي والمقدسي والبيروني والمروزي والقزويني وغيرهم، براعة كبيرة في طرح معارفهم العلمية بأسلوب أدبي شيق، وتنوعت اهتماماتهم بين وصف الأجناس البشرية ومميزاتها ومعتقداتها الدينية وفنونها، دون أن يغفلوا الجوانب الاقتصادية من حرف وصناعة وحركة النشاط التجاري سواء بالمدن الصينية أو الهندية .

كما كان للتجار دورا أساسيا في استقاء أدق المعلومات، فامتهن التاجر التجارة والرحلة معا أمثال سليمان التاجر، وياقوت الحموي وغيرهم، حيث قاموا بوصف البضائع وأجودها وأماكن تواجدها وأشهر أسواقها وكانت أسفارهم تجوب البلاد.

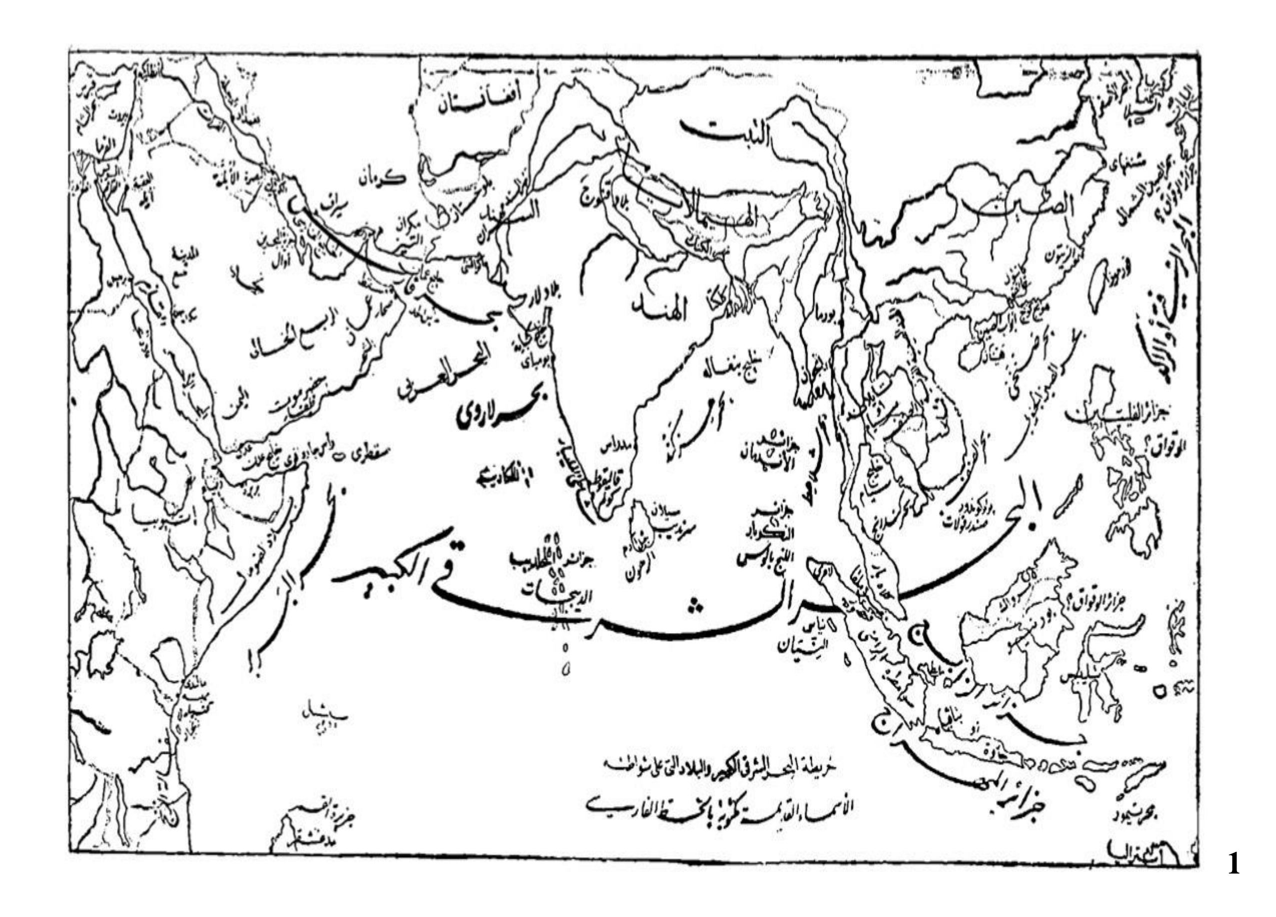
كما تميزت المادة الوصفية التي زودنا بها الرحالة والجغرافيون حول المدن الصينية والهندية بثراء كبير، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأن الرحلات التجارية والبحرية تعتبر مصدرا هاما للتعرف على العلاقات الاقتصادية بين الشرق والغرب في الفترة المدروسة.

حيث أن هذه الفترة التي درسناها قد برز فيها اهتمام المسلمين بالتعرف على ثقافة غيرهم من الأمم المجاورة والبعيدة، فنشطت تبعا لذلك الرحلة نحو الشرق خاصة من القرن الرابع الهجري، وقد زودنا الرحالة المسلمون بملاحظاتهم حول المجتمعات الآسيوية وذهنياتها ومعتقداتها وعاداتها ولباسهم وهيئتهم ونوعية طعامهم.

ولقد أظهرت الرحلات العربية والإسلامية سواء على المستوى الفردي أو الاجتماعي نتائج مصححة في معرفة كثير من الحقائق الغامضة أو التي كانت محددة على التصور الإنساني من الخرافات والتصورات التي سادت في العصور الماضية.

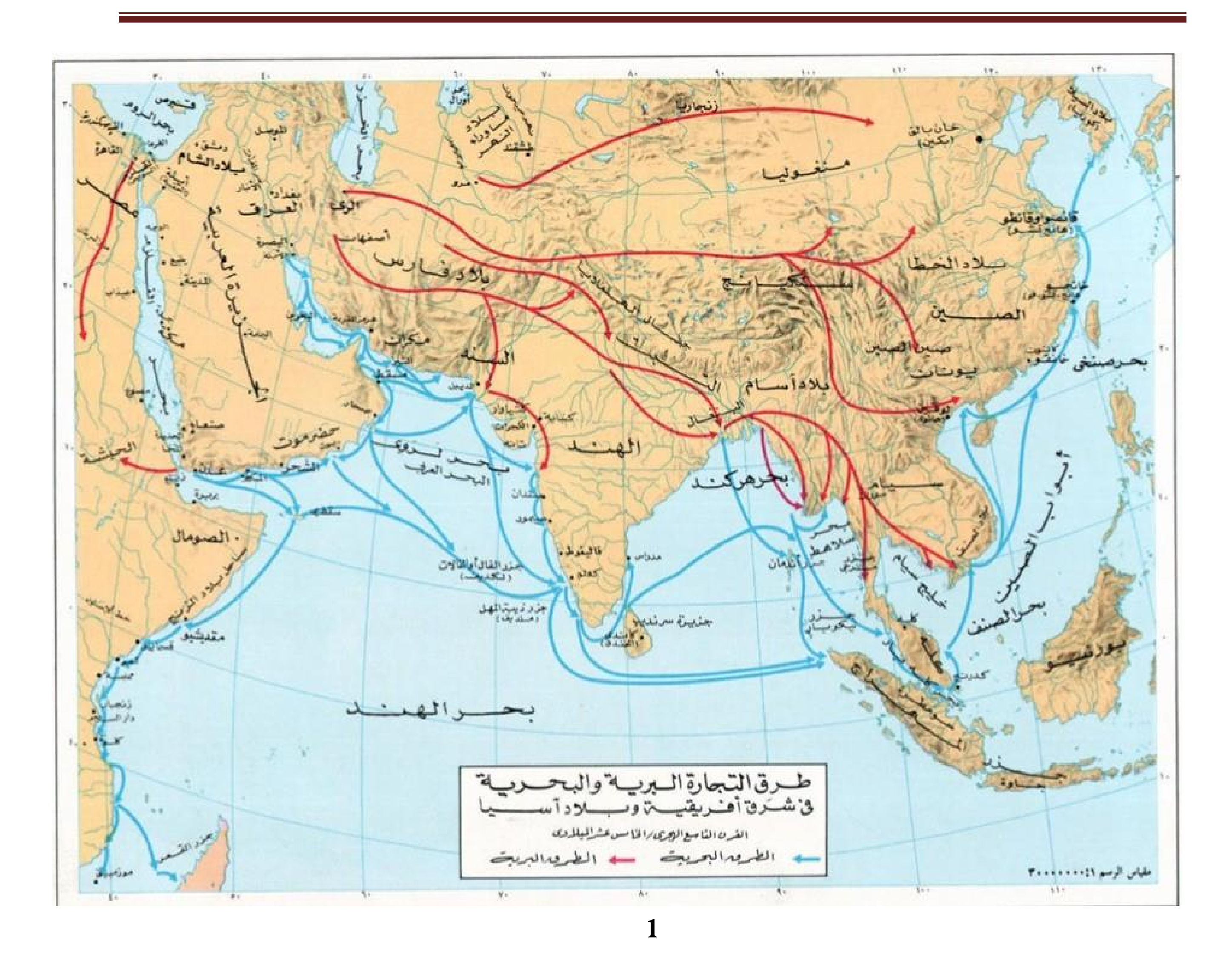
ولقد كان للتراث الإسلامي دور كبير في الكشف الجغرافي والحضاري للأقاليم والشعوب غير الإسلامية في فترة القرون الوسطى، وتستحق تصفحا جادا ومركزا، ليستفاد من معطياتها العلمية.

الملاحق



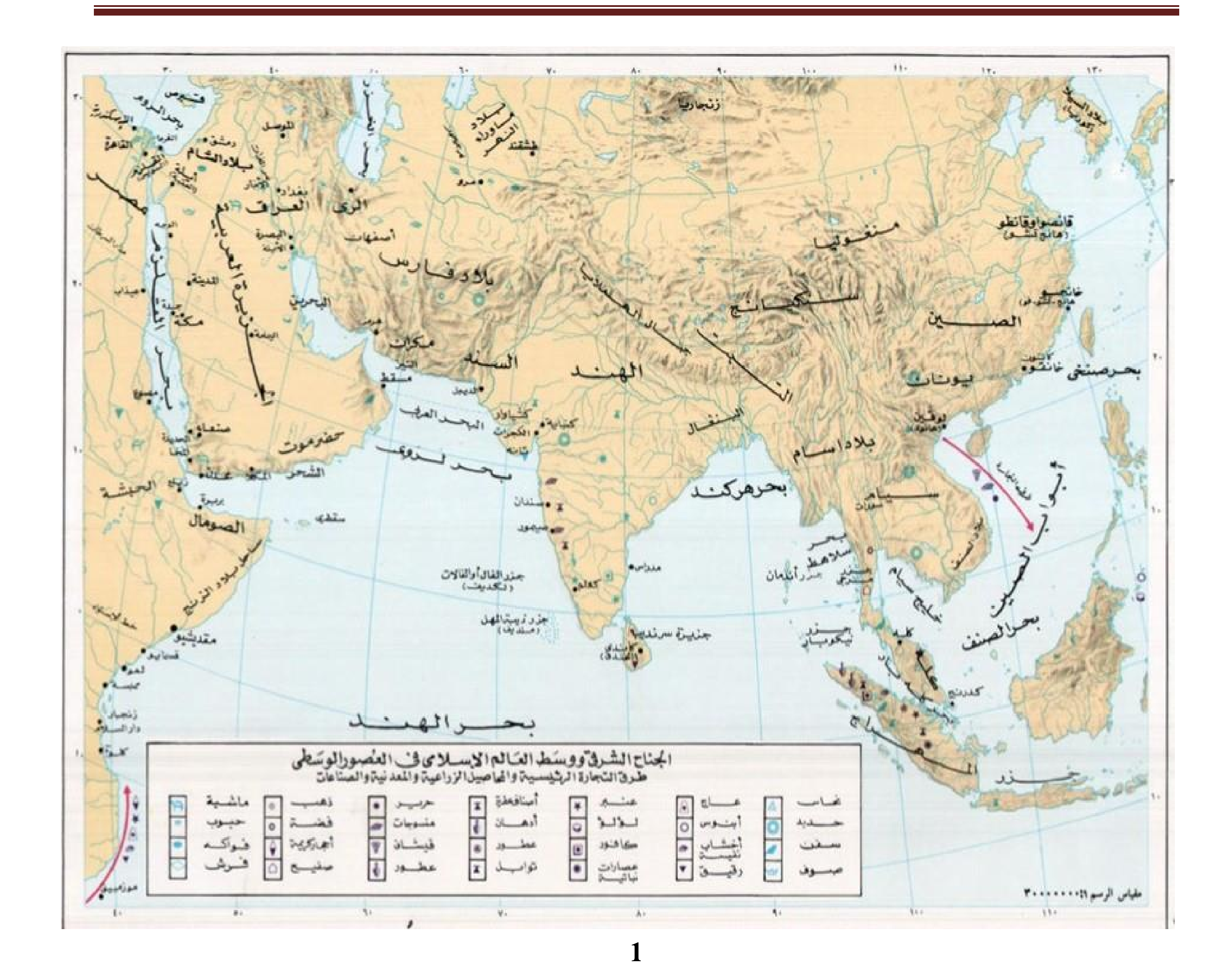
[1]

[1] - حسين فوزي ، مرجع سابق ، ص 03 .



1

[1] - حسين مؤنس ، **أطلس تاريخ الإسلام** ، ط1 ، الزهراء للإعلام العربي ، القاهرة ، 1407هـ - 1987 م ، ص 388 .



[1]

[1] - حسين مؤنس ، مرجع سابق ، ص 389 .

الرحالة أو الجغرافي	مقدار معلوماته عن الصين	مقدار معلوماته عن الهند والسند	النسبة المئوية
سليمان التاجر	45 فقرة	72 فقرة	%12.36
ابن رسته	/	14 فقرة	%1.46
اليعقوبي	16 فقرة	26 فقرة	%4.43
ابن الفقيه	9 فقرات	5 فقرات	%1.46
ابن خرداذبة	8 فقرات	3 فقرات	%1.16
المسعودي	24 فقرة	24 فقرة	%5.07
ابن حوقل	فقرتين	37 فقرة	%4.12
الاصطخري	3 فقرات	16 فقرة	%2
الثعالبي	فقرتين	8 فقرات	%1.05
البيروني	/	16 فقرة	%1.69
صاعد الأندلسي	3 فقرات	16 فقرة	%2
البكري	12 فقرة	45 فقرة	%6.02
الإدريسي	36 فقرة	117 فقرة	%16.17
أبو حامد الأندلسي	3 فقرات	3 فرات	%0.63
الزهري	15 فقرة	37 فقرة	%5.50
المروزي	36 فقرة	69 فقرة	%11.10
القزويني	18 فقرة	38 فقرة	%5.92
ابن يونه	فقرتين	/	%0.21
شيخ الربوة	10 فقرات	23 فقرة	%3.49
أبي الفداء	فقرتين	17 فقرة	%2
ابن بطوطة	16 فقرة	39 فقرة	%5.81
ابن الوردي	11 فقرة	13 فقرة	%2.53
الحميري	22 فقرة	5 فقرات	%2.85
ابن سباهي زادة	5 فقرات	3 فقرات	%0.84

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

السنة النبوية:

1_ الألباني، **سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها**، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1422هـ-2002م.

2_ أبي الحسن مسلم بن الحجاج القرشي النسب، **صحيح مسلم**، اعتنى به: أبو قتيبة نظر محمد القرياني، ط1، دار طيبة، الرياض، 1427هـ-2006م، مج1.

المصادر:

1- الإصطخري، أبو اسحاق محمد ابراهيم بن محمد الفارسي (ت400هـ)، **مسالك الممالك**، مطبعة بريل، ليدن، 1927م.

2- الإدريسي، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي أبو عبد الله (ت560هـ)، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، د.س.

3- البكري، عبد الله بن عبد العزيز بن محمد الأندلسي أبو عبيد (ت487هـ)، **المسالك والممالك**، تح: جمال طلبة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2002م، ج1.

4- البيروني، محمد ابن أحمد أبو الريحان الخوارزمي (440هـ)، **القانون المسعودي**، ط1، مجلس دائرة المعارف، حيدر أباد، 1373هـ-1954م، ج1.

5- ابن بطوطة، أبوعبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم الطنجي (ت779هـ)، **تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار**، تح: محمد عبد المنعم العريان، مر: مصطفى القصاص، ط1، دار إحياء العلوم، لبنان، 1987م، ج1.

6- البيهقي، ظهير الدين أبي الحسن علي بن أبي القاسم زيد (ت565هـ)، **تتمة صوان الحكمة**، د. ن، لاهور، 1351م.

7- ـــــــــــ ، **تاريخ حكماء الإسلام**، تح: محمد كرد علي، مطبعة الشرق، دمشق، 1365هـ-1946م.

8- الثعالبي، أبي منصور عبد الملك ابن محمد بن اسماعيل النيسابوري (ت429هـ)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، تح: محمد أبو الفضل ابراهيم، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1424هـ-2003م،

9- أبو حامد الأندلسي، عبد الرحيم بن سليمان بن ربيعة القيسي الغرناطي (ت565هـ)، **تحفة الألباب ونخبة الأعجاب**، تح: اسماعيل العربي، ط1، دار الآفاق الجديدة، المغرب، 1413هـ-1993م.

10- أبي حامد الغزالي، **إحياء علوم الدين**، ط1، دار ابن حزم، بيروت، 1426هـ-2005م.

11- الحميري، محمد بن عبد المنعم (ت920هـ)، **الروض المعطار في خبر الأقطار**، تح: إحسان عباس، ط2، مكتبة لبنان، بيروت، 1984م.

12- ابن حوقل، أبي القاسم (ت367هـ)، **المسالك والممالك**، مطبع بريل، ليدن، 1873م.

13- ابن خرداذبة، أبي القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت300هـ)، **المسالك والممالك**، دار صادر، بيروت، 1889م.

14- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت748هـ)، **سير أعلام النبلاء**، تح: ابراهيم الزيبق، ط11، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1417هـ-1996م، ج15.

15- ابن رسته، أبي علي أحمد بن عمر، **الأعلاق النفيسة**، دار صادر، بيروت، 1891م.

16- الزهري، أبي عبد الله محمد بن أبي بكر (ت أواسط القرن6هـ)، **الجغرافية**، تح: محمد حاج صادق، مكتبة الثقافة الدينية، د. م، د. س.

17- سليمان التاجر (ت237هـ)، **عجائب الدنيا وقياس البلدان**، تح: سيف شاهين المريخي، ط1، مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارت العربية المتحدة، 1426هـ-2005م.

18- ابن سباهي زادة، محمد بن علي البرسوي (ت997هـ)، **أوضح المسالك إلى معرفة البلدان والممالك**، تح: المهدي عبد الرواضية، ط1، دار الغرب الإسلامي، 1427هـ-2006م.

19- السمعاني، أبي سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي (ت562هـ)، الأنساب، ط1، دائرة المعارف، حيدر أباد، 1397هـ-1977م، ج2.

20- شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله محمد أبي طالب الأنصاري الصوفي الدمشقي، **نخبة الدهر في عجائب البر والبحر**، مكتبة المثنى، بغداد، 1963م.

21- صاعد الأندلسي، أبي القاسم صاعد بن أحمد (ت463هـ)، **طبقات الأمم**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1912م.

22- الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت764هـ)، **الوافي بالوفيات**، تح: أحمد الأرناؤوط وتزكي مصطفى، ط1، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 2000م، ج21،19،1.

23- ابن الفقيه، أبي عبد الله أحمد بن محمد بن إسحاق الهمذاني (ت290هـ)، **البلدان**، تح: يوسف الهادي، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1416هـ-1996م.

24- أبي الفداء، عماد الدين اسماعيل بن محمد بن عمر (ت732هـ)، **تقويم البلدان**، دار صادر، بيروت، د. س.

25- القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت682هـ)، **عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات**، تح: سعد كريم الفقهي، دار ابن خلدون، د. م، د. س.

26- ـــــــــ ، **آثار البلاد وأخبار العباد**، دار صادر، بيروت، د. س.

27- مجهول، **حدود العالم من المشرق إلى المغرب (كتبه عام 372هـ)**، تح: يوسف الهادي، ط1، الدار الثقافية للنشر، القاهرة، 1419هـ-1999م.

28- المسعودي، أبي الحسن بن علي (ت346هـ)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، ط1، المكتبة العصرية، بيروت، 1425هـ-2005م، ج1.

29- ـــــــــ ، **أخبار الزمان في من أباده الحدثان وعجائب البلدان والغامر بالماء والعمران**، ط2، المكتبة الحيدرية، العراق، 1486هـ-1966م.

30- المروزي، الطبيب شرف الزمان طاهر (ت أواسط القرن6هـ)، **أبواب في الصين والترك والهند منتخبة من كتاب طبائع الحيوان كتبه سنة514هـ**، د، ن، بغداد، د. س.

31- النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت733هـ)، **نهاية الإرب في فنون الأدب**، تح: مفيد قميحة، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ-2004م، ج12.

32- ابن الوردي، سراج الدين (ت861هـ)، **خريدة العجائب وفريدة الغرائب**، تح: أنور محمد زناتي، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 1428هـ-2008م.

33- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب ابن واضح (ت284هـ)، **تاريخ اليعقوبي**، مطبع بريل، ليدن، 1883م، ج1.

34- ابن يونه، بنيامين التطيلي، **رحلة بنيامين التطيلي (561-569هـ/1165-1173م)**، تر: عزرا حداد، ط1، المجمع الثقافي، الإمارات العربية المتحدة، 1423هـ-200م.

المراجع المترجمة:

1- آدم ميدز، **الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري أو عصر النهضة في الإسلام**، نقله إلى العربية: محمد عبد الهادي بوريد، أعد فهارسه: رفعت البدراوي، ط5، دار الكتاب العربي، لبنان، د. س، مج2.

2- دانييل هنري باجو، **الأدب العربي المقارن**، تر: غسان السيد، اتحاد الكتاب العربي، دمشق، د. س.

3- رنيبه كلوزيه، **تطور الفكر الجغرافي**، تر: عبد الرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، 1405هـ-1985م.

4- كراتشوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، تر: صلاح الدين عثمان هاشم، مر: ايغور بليايف، الإدارة الثقافية في جامعة الدول العربية، القاهرة، 1963م، ج1.

5- مجهول، **الموجز في تاريخ الكشف الجغرافي**، تر: عبد العزيز طريخ شرف، مؤسسة الثقافة الجامعية، الإسكندرية، 1993م.

6_هيلدا هو خام، **تاريخ الصين منذ ما قبل التاريخ حتى القرن العشرين**، تر: أشرف محمد كيلاني، ط1، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002م.

المراجع:

1- أحمد محمود الساداتي، **تاريخ المسلمين في شبه القارة الهندية وحضارتهم**، مكتبة الآداب، القاهرة، د. س

2- أحمد شلبي، **أديان الهند الكبرى**، ط11، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1974م.

3- أحمد رمضان أحمد، **الرحلة والرحالة المسلمون**، دار البيان العربي، د. م، د.س.

4- بدر الدين حي الصيني، **العلاقات بين العرب والصين**، ط1، النهضة المصرية، القاهرة، 1370-1950م.

5- جمال الدين فاتح الكيلاني، **الرحلات والرحالة في التاريخ الإسلامي**، دار الزنبقة، القاهرة، 2014م.

6- جمال الفندي، **الجغرافيا عند المسلمين**، ط1، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1982م.

7- جورج غريب، **أدب الرحلة تاريخه وأعلامه المسعودي ابن بطوطة-الريحاني**، دار الثقافة، بيروت، د. س.

8- حسين فوزي، **حديث السندباد القديم**، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1943م.

9- حسين مرزوقي، **بلاد السودان في كتب الجغرافيين والرحالين العرب والمسلمين إلى حدود القرن الثامن الهجري**، تق: محمد شقرون، ط1، مجمع الأطرش للكتاب المختص، تونس، 2018م.

10- حسين محمد فهيم، **أدب الرحلات**، عالم المعرفة، د. م، 1989م.

11- حسين محمود حسين، **أدب الرحلة عند العرب**، ط2، دار الأندلس، بيروت، 1403هـ-1983 عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ-1996م.

12- حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس**، ط2، المنظمة العربية، القاهرة، 1986م.

13- ـــــــــــ، **أطلس تاريخ الإسلام**، ط1، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، 1407هـ-1987م.

14- سعيد يقطين، **السرد العربي مفاهيم وتجليات**، ط1، دار الأمان، الرباط، 1433هـ-2012م.

15- سيد قطب، **في ظلال القرآن**، ط2، دار الشروق، بيروت، 1423هـ-2003م، مج1،ج1.

16- سيد حامد النساج، **مشوار كتب الرحلة قديما وحديثا**، مكتب غريب، القاهرة، د.س.

17- شوقي ضيف، **الرحلات**، ط4، دار المعارف، القاهرة، د. س.

18- شاكر خصباك، **الجغرافيا عند العرب**، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 1986م.

19- شوقي عبد القوي عثمان، **تجارة المحيط الهندي في عصر السيادة الإسلامية (41-904هـ_661-1498م)**، دار المعرفة، الكويت، 1990م.

20- صلاح الدين الشامي، **الرحلة عين الجغرافية المبصرة**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م.

21- ـــــــــــ ، **الفكر الجغرافي سيرة ومسيرة**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1999م.

22 - ـــــــــــ، **التنمية الجغرافية دعامة التخطيط**، ط2، منشأة المعارف، الإسكندرية، 2000م.

23- ـــــــــــ، **الجغرافيا المعاصرة ماذا عن تطور الهدف واحتواء الأزمة**، منشأة المعارف، الإسكندرية، 1987م.

24- عبد الحكم عبد اللطيف الصعيدي، **الرحلة في الإسلام أنواعها وآدابها**، ط1، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1416هـ-1996م.

25- عواطف محمد يوسف نواب، **الرحلات المغربية والأندلسية**، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، 1417هـ-1996م.

26- علي ابراهيم الكردي، **أدب الرحل في المغرب والأندلس**، الهيئة العامة السورية، دمشق، 2013م.

27- عيسى علي ابراهيم، **الفكر الجغرافي والكشوف الجغرافية**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2006م.

28- عبد الفتاح محمد وهيبة، **مكانة الجغرافية من الثقافة الإسلامية**، دار الأحد، بيروت،1979م.

29- عز الدين فراج، **فضل علماء المسلمين على الحضارة الأوربية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 2002م.

30- علي بن عبد الله الدفاع، **رواد علم الجغرافية في الحضارة العربية الإسلامية**، مكتبة التوبة، د. م، د. س.

31- عبد الهادي التازي، **رحلة الرحلات مكة في مائة رحلة مغربية ورحلة**، مر: عباس صالح طاشكندي، مؤسسة الفرقان، مكة المكرمة، 1426هـ-2004م.

32- فؤاد قنديل، **أدب الرحلة في التراث العربي**، ط2، مكتبة الدار العربية، القاهرة، 1423هـ-2002م.

33- كرلونلينو، **علم الفلك تاريخه عند العرب في القرون الوسطى**، ط1، الدار العربية للكتاب، القاهرة، 1986م.

34- لطفي دبيش، **التواصل الحضاري في الثقافة العربية الإسلامية من خلال مدونة الجغرافيين المسالكيين والرحالين العرب والمسلمين**، مركز النشر الجامعي، د.م،2010.

35- محمد محمود محمدين، الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان، دار الخريجي، الرياض، د.س.

36- محمد النيرب، **المدخل في تاريخ الولايات المتحدة الأمريكية**، ط1، دار الثقفة الجديدة، القاهرة، 1997م، ج1.

37- محمود أبو العلا، **الفكر الجغرافي**، ط1، مكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة،1997م.

38 - محمد محمود محمدين، **التراث الجغرافي الإسلامي**، ط3، دار العلوم، السعودية، 1419هـ-199م.

39- محمد عبد العظيم أبو النصر الصوفي، **تاريخ المسلمين وحضارتهم في بلاد الهند السند والبنجاب**، ط1، شركة نوابع الفكر، القاهرة، 1430هـ-2009م.

40- محمود شاكر، **التاريخ الإسلامي التاريخ المعاصر**، ط2، المكتب الإسلامي، بيروت، 1418هـ-1997م.

41- محمد نصر عبد الرحمن، **الوجود العربي في الهند في العصور الوسطى**، ط1، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، د. س.

42- نوال عبد الرحمن الشوابكة، **أدب الرحلات الأندلسية والمغربية حتى نهاية القرن التاسع الهجري**، ط1، دار المأمون، عمان، 1428هـ-2008م.

43- نقولا زيادة، **الجغرافية والرحلات عند العرب**، الشركة العالمية، بيروت، 1987.

المعاجم والقواميس:

1- بطرس البستاني، **محيط المحيط قاموس مطول للغة العربية**، مكتبة لبنان، لبنان، 1987م.

2- الزركلي، **الأعلام قاموس تراجم لأسهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002م، ج1، 3، 4، 5، 6، 7.

3- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب (ت817هـ)، **القاموس المحيط**، تح: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط8، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1426هـ-2005م.

4- الفيومي، أحمد بن محمد بن علي المقري (ت770هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، تح: عبد العظيم الشناوي، ط2، دار المعارف، القاهرة، د. س، ج1.

5- ابن منظور، أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الإفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، د. س، مج3، 11 ، 13.

6- ياقوت الحموي (ت262هـ)، **معجم البلدان**، دار صادر، بيروت، 1397هـ_1977م، ج2، 3، 4.

7- ـــــــــــــ، **معجم الأدباء**، تح: إحسان عباس، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م، ج4، 5.

8- باقر أمين الورد، **معجم العلماء العرب**، مر: كوركيس عواد، ط1، مكتبة النهضة العربية، بيروت، 1406هـ-1986م.

9- جبران مسعود، **الرائد معجم لغوي عصري رتبت مفرداته وفقا لحروفها الأولى**، ط7، دار العلم للملايين، بيروت، 1992م.

10_صالح العلي الصالح وأمينة الشيخ سليمان أحمد، **المعجم الصافي في اللغة العربية**، د. ن، د. م، 1441هـ-1981م.

11_ عبد الحليم محمد قنبس، **معجم الألفاظ المشتركة في اللغة العربية**، مكتبة لبنان، لبنان، 1987م.

12- عمر رضا كحالة، **معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية**، ط1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1414هـ-1993م، ج1، 3.

13- مجمع اللغة العربية، **المعجم الوجيز**، دار التحرير، د. م،1989 م.

14- محمد ناصر العبودي، **معجم السفر والارتحال عند العامة**، ط1، دار الثلوثية، السعودية، 1433هـ-2012م.

الدوريات:

1- ابراهيم أحمد سعيد، **إسهامات المقدسي في الجغرافية والدراسات الإقليمية**، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العددان117-118، 2012م.

2- أزهر حسين رزوقي، **الرحلة في التراث العربي الإسلامي ودورها في رفد المعرفة الجغرافية**، مجلة سر من رأى، المجلد6، العدد19، العراق، نيسان، 2010م.

3- حسين عليوي ناصر الزيادي، **تطور الفكر الجغرافي في الحضارات القديمة**، مجلة أوروك، جامعة المثنى، المجلد7، العدد1، د. م، 2014م.

4- عقيل عبد الله ياسين وسلام ناصر الدين، **البواعث الثقافية في كتابة الأساطير والخرافات عند الرحالة العرب والمسلمين المشارقة (132-656هـ/750-1258م)**، لارك للفلسفة واللسانيات والعلوم الاجتماعية، العدد27، 2017م.

5- نبيل راغب، **أدب الرحلات**، مجلة الفيصل، العدد88، السعودية، 1404هـ-1984م.

6- نوفل محمد نوري، **الروايات التاريخية في كتابتا الرحالة المسلمين في العصر العباسي بين الأسطورة والحقيقة (دراسة تحليلية)**، مجلة أبحاث كلية التربية الأساسيةن قسم التاريخ، المجلد11، العدد1، 15-05-2011م.

الموسوعات:

1- أحمد محمد الشنواني، **موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام**، ط1، دار الزمان، المملكة العربية السعودية، 1428هـ-2007م.

2- محمد فارس، **موسوعة علماء العرب والمسلمين**، ط1، المؤسسة العربية، بيروت، 1993م.

3- مجموعة من العلماء والباحثين، **الموسوعة العربية العالمية**، ط2، مؤسسة أعمال الموسوعة، الرياض، 1419هـ-1999م، مج4، 10، 22.

الفهرس

الفهرس

مقدمة:

الفصل الأول: الرحلة بين النشأة والتأصيل. .... ص 15 – 50

المبحث الأول: مفهوم الرحلة ونشأتها. .... ص 15 – 23

1– مفهوم الرحلة: .... ص 15–20

أ) لغة. .... ص 15 – 17

ب) اصطلاحا. ص17–18

ج– الرحلة في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة. ص18–20

2– نشأة الرحلة. ص20–23

المبحث الثاني: تطور الفكر الجغرافي. ص24–30

1– الفكر الجغرافي الكلاسيكي " القديم ". ص24–26

2– الفكر الجغرافي الوسيط. ص26–28

3– الفكر الجغرافي الحديث. ص28–29

4– الفكر الجغرافي المعاصر. ص29–30

المبحث الثالث: أهمية الرحلة أنواعها ودوافعها. ص31–35

1– أهمية الرحلة. ص31–32

2– أنواع الرحلات ودوافعها. ص32–35

المبحث الرابع: نماذج لأشهر أعلام الرحالة والجغرافيين. ص36–45

أولا: ابن خرداذبة وابن رسته (القرن3هـ– 9م). ص36–37

ثانيا: المسعودي والمقدسي (القرن4هـ– 10م). ص37–39

ثالثا: البيروني والبكري (القرن5هـ- 11م). ص39-40

رابعا: الإدريسي وأبو حامد الأندلسي (القرن6هـ- 12م). ص34-42

خامسا: القزويني (القرن7هـ- 13م). ص42-43

سادسا: أبو الفداء وابن بطوطة (القرن8هـ- 14م). ص44-45

المبحث الخامس: مصادر معلومات الرحالة المسلمين. ص46-49

1 – المصادر المكتوبة. ص46-48

2 – المصادر الشفوية. ص49-50

الفصل الثاني: بلاد الصين في كتابات الرحالة والجغرافيون. ص52-84

المبحث الأول: الوصف الجغرافي لبلاد الصين. ص52-63

المبحث الثاني: الحياة السياسية في بلاد الصين. ص64-69

المبحث الثالث: الأنشطة الاقتصادية في بلاد الصين. ص70-76

المبحث الرابع: الحياة الاجتماعية والدينية في بلاد الصين. ص77-81

المبحث الخامس: الحياة العلمية والعلمية والعمرانية في بلاد الصين............ ص82-84

الفصل الثالث: بلاد الهند والسند في كتب الرحالة والجغرافيين..................ص85-118

المبحث الأول: الوصف الطبيعي والجغرافي لبلاد الهند والسند. ص86-97

المبحث الثاني: الأوضاع السياسية في بلاد الهند والسند. ص98-102

المبحث الثالث: الأنشطة الاقتصادية في بلاد الهند والسند. ص103-106

المبحث الرابع: الحياة الاجتماعية والدينية في بلاد الهند والسند. ص107-114

الفهرس

المبحث الخامس: الحياة الثقافية والعمرانية في بلاد الهند والسند ص115-118

خاتمة. ص120-121

الملاحق ص123-126

قائمة المصادر والمراجع ص128-140

الفهرس...ص142-144